صرخات مكتومة

يصرخها نيابة عن كل الصّارخين :

محمد إبراهيم مصطفى
(أبو إسلام)

الناشر
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية . عابدين
القاهرة - تليفون ٣٩١٧٤٧٠

الطبعة الأولى

١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

الغلاف من تصميم : مهندس علاء الدين محمد إبراهيم

مطبعة المدني المؤسسة السعودية بمصر
٦٨ شارع العباسية - القاهرة - ت : ٤٨٢٧٨٥١

(الإهـــــــداء)

إلى كل صاحب كلمة حق لا يستطيع أن ينطق بها ......

وإلى كل من يكتم فى صدره صرخة لا يستطيع أن يصرخها . . .

وإلى كل من يضيق صدره ولا ينطلق لسانه .....

وإلى كل من عرف الحق وعزّ عليه أن يراه مهضومًا ....

وإلى كل من يؤمن بالخير ويحبه ولكنه لا يراه ....

وإلى كل مظلوم يتمنى أن يقول لمن ظلمه : أنت ظالم .....

وإلى كل عاشق للحرية ولا يستطيع أن يعيش بدونها ....

وإلى كل صاحب مبدأ يعجز عن الدفاع عن مبادئه ....

وإلى كل صاحب كبرياء يجرحه أصحاب الكبر والاستبداد ......

وإلى كل شريف ضعف صوته فى ضوضاء الشر وصخب الأشرار ....

وإلى كل ذى حق تاهت قدماه وكلّت بين أروقة المحاكم ....

وإلى كل من يستغيث بالقانون الذي يجرى كالسلحفاة ....

إلى كل واحد من هؤلاء، أقول : إن عين الله لا تغفل ولا تنام .....

وإن الله ليملل للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ....

وصدق الله تعالى إذ يقول : [إن الباطل كان زهوقا] ." ٨١ – الإسراء "..

الى كل هؤلاء أهدى كتابى، كصرخة مكتومة وجدت طريقها للانطلاق.. ولو على الورق .. لتعبّر عن كل ما فى الصدور من صرخات مكتومة .....

الكاتب

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

كثير من الشرفاء فى هذا الزمان يعجزون عن التعبير عمّا فى صدورهم من احتجاج على ما يرونه كل يوم من مظالم ، ومن المفاهيم المقلوبة التى أصبحت كالعرف الذي انتشر بين الناس . هذه المفاهيم المغلوطة التى سيطرت على سلوكيات معظم الناس، فأصبح الباطل شيئا مألوفاً لا يثير الدهشة أو الاستغراب .. إلا لدى الفئة القليلة الباقية من المواطنين الشرفاء ، الذين خفتت أصواهم بعد عجزها عن الوصول إلى الأسماع ..

وكم من كلمات حق أُرسلت ، ولكنها أُهملت ووُضعت فى سلة المهملات !!..

وكم من نصيحة مخلصة لوجه الله وُجّهت إلى من يحتاجها ، فلم يُلتفت إليها ، وعُلّق عليها بالنكات والضحكات !!..

وكم من رأى للصالح العام قيل مرّات ومرّات دون أن ينال حظه من البحث أو الدراسات!!..وإننى كواحد من هؤلاء الذين يشعرون بمواطنتهم ، وبما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات .. أرسلت عدة مقترحات إلى من يهمهم الأمر . وكثيرون لم يهتموا، وقليل منهم من استجاب ..

وكان من اقتراحاتى التى لقيت استجابة وتقديرًا وحماسًا ، فكرة " تكريم المعلم المثالى " التى تفرّع منها تكريم العامل المثالى ، والطالب المثالى ، والأم المثالية ، فشجّعت هذه الفكرة الكثيرين على تحسين أدائهم حتى ينالوا هذا التكريم . ومن الأفكار التى أرسلتها للرئيس الراحل أنور السادات ، وعرضتها فى البرنامج الإذاعى " على الناصية " فى صيف عام ١٩٧٨تقريبًا " فكرة إنشاء وزارة لشئون الهجرة والمصريين فى الخارج " والتى استجاب لها الرئيس الراحل .وكانت وسيلة لخدمة قطاع كبير من المصريين العاملين فى الخارج . وإن كان مازال لى عليها ملاحظات وبعض التحفظات .

ومن الأفكار التى وجدت استجابة أيضًا، فكرة تحويل " فوّهات " شكمانات الأوتوبيسات إلى أعلى ، والتى طُبّقت جزئيًا وليس كليًا ... وكذلك فكرة تغيير أسلوب الخطاب الذي كان يُرْسَل حتى منتصف الستينات إلى الذين سيحالون إلى المعاش ، وكان يحمل عبارة " تقرّر فصلكم " ، وأصبح أسلوبًا رقيقا يحمل عبارات الشكر والتقدير . وبينما وَجَدَت بعض الأفكار من استجاب لها .. فإن أفكارًا كثيرة أخرى لم تحظ بمن يستجيب لها .. فهذا محافظ يحترم ما يقدّم له من مقترحات ، وذلك محافظ آخر لا يتحمّل عناء قراءة أو فهم الاقتراح ، ثم يتسرّع بتحويله إلى جهات لا علاقة لها بموضوع الاقتراح ..

وهناك جهات تعتبر أن إرسال فكرة أو اقتراح إلى السيد رئيس الجمهورية ، ربما أمرًا غير لائق، رغم أن الرئيس يرحّب بكل الأفكار المتطوّرة التى هدفها الصالح العام . وكثيرًا ما أَرسلت إلى بعض الوزراء، ولكنهم يعيشون فى أبراج عاجيّة ، لا يهمهم الناس " اللى تحت " بقدر ما يهمهم الناس " اللى فوق " !!..

وكم أرسلت إلى بعض الجرائد والمجلات من الآراء والمقالات ، ولكن بعضها لم يكن يجد قبولاً من المسئولين عن الجريدة أو المجلة ، لما فيها من النقد السياسي أو الاجتماعي ، وخوفاً من اعتراضات الرقابة.. ويُذكّرني هذا بما ذكره الدكتور وحيد رأفت في مقال نشرته جريدة " المصري " ٨-٣- ١٩٥٤ ، وجاء فيه ما يلي :

" الرقابة على الصحف لا تُحطِّم الأقلام فحسب ، بل تقضي على ملكة التفكير.. فلماذا يُجْهِد الكاتب نفسه ، ويكدح المفكر ذهنه ، إذا كان ما تجود به قريحته لا ينقل إلى الجمهور أبداً ، ولا يصلهم إلا مبتوراً مشوّهاً بفعل الرقيب ؟.. ويا ويل أمّة لا يمارس كتابها إلا المدح والثناء، ولا يسمح حكامها إلا بتلك النغمة المرذولة ، فالنقد

السياسي كالنقد عامة ، ضرورة من ضرورات الحياة والتقدم ، ورمز على الحيوية .. فبغيره تفتر الهمم وتتقاعس النفوس ، ويخبو الذهن والإصلاح " .

وأعترف بأننى قد اعترانى اليأس فى بعض الأحيان ، واعتقدت انه لا فائدة من الكلام، ولا ملتفت إلى الصراخ ، ولا سميع ولا مجيب .. وكأننا كما يقولون " نؤذّن فى مالطة ".. أو ننقش على الماء....ولكن إحساسى بالولاء لبلدى ، والانتماء للمجتمع الذي أعيش فيه بين أهلى وعشيرتى ، هذا الإحساس كان يقوى ويفرض نفسه على كل المعوّقات..وأخيرًا رأيت أن أترجم كل مشاعرى ، وأعبّر عن صرخاتى وصرخات الناس " المكتومة " فى سطور هذا الكتاب .. (ولو كره الكارهون) .. لعلى أساهم فى كسر الحاجز الذي يفصل بين القاعدة والقمّة ، وإطلاق هذه الصرخات ، وتوصيلها إلى كثير من الآذان الصمّاء .. لعل بعضها يعى ويستجيب !!..

والله تعالى ثم الوطن من وراء القصد، والله هو الهادى إلى سواءالسبيل .

محمد ابراهيم مصطفى

(أبو إسلام)



وأخيرًا ....نطق أبو الهول !!..

على مر الزمن ومنذ آلاف السنين .. يجلس أبو الهول على أرض مصر العظيمة .. جلسة الأسد الذي يحمي العرين شاهدًا على أمجاد مصر .. ناطقًا بعظمتها .. وعزيمة رجالها .. ويأتي إلى محرابها السّائحون من كل مكان .. في كل عصر وزمان .. يقفون أمامه مبهورين بعظمة الإنسان المصري القديم .. صاحب المجد العظيم .. ويحني السائحون رءوسهم .. تحية وإجلالاً لذلك الماضى المجيد .. والمجد الفريد .. إنهم يصمتون أمامه صمت التلاميذ ، أمام أستاذهم العزيز.. إنهم يرونه صامتًا ، ولكن في صمته ما هو أبلغ وأقوى من الكلام .. وكأنه يقول لهم : نحن مركز الصّدارة .. وأصل الحضارة !!..

ومنذ سنوات قليلة ، صرخ العالم كله عندما سمعوا أن حجرًا قد سقط من جسم أبي الهول .. وتوالت الوفود . يعلنون العزم والعهود .. وتشكلت اللجان.. واشترك العالم والفنّان .. وعُقدت الجلسات .. وتبادل الخبراء الآراء والتوصيات .. وكلهم في دهشة يتعجبون .. وباهتمام يتساءلون .. كيف وقع ذلك الحجر ؟!.. وكم أزعجنا هذا الخبر!!..وبحثوا ما يجب عمله حتى لا يتكرر مثل هذا الضرر ..

وأذكر أنني حينئذ كمواطن مصريّ ، مخلص ووطنيّ .. كنت ضمن من تأثروا لإصابة أبي الهول .. مما أعجزني عن التعبير أو القول .. فذهبت إليه .. ووقفت بين يديه.. ولسان حالي يقول له : ماذا بك يا جدّي ؟!.. يارمز العظمة لبلدي !!..

وإذا بقشعريرة تنتابني .. وإحساس يتملّكني .. بأن أبا الهول يتحرك ببطء .. وأنه يتنفس وفي أنفاسه حرارة ودفء .. وكأني سمعت صوته يئنّ .. ويعلو في أذني

ويطنّ..وكأنه يريد أن يكلمني .. وعن أشياء يريد أن يسألني !!.. فارتعدت أوصالي ، وارتجف بدني ، وازداد انفعالي ، واشتد حزني ، وحملقت عيناي ، وأنصتت أذناي ، فإذا بي وكأنه يخاطبني ، وبصوت متهدّج يحادثني ويقول : يا حفيد أحفادي .. ويا سليل أمجادي .. كم طال صمتي ، واشتد ألمي!!. وكلما مرّ وقتي ، تضاعف همّي !!.. وذهبت بهجتي ، وازدادت حسرتي، وما سقط هذا الحجر عن تصدّع أو مرض ، ولا لأن المجد زال وانقرض ، ولكنه سقط نتيجة لشدة ما أشعر به من ندم ، وحسرة وألم ..!!

عندئذ أغمضت عينيّ .. وشَددت قدميّ وسرت حتى جلست على إصبع من يده اليمنى ، وكأن حوارًا قد بدأ بين كلٍ منّا !!..فقلت : لِمَ يا جدّي كل هذا الحزن في عينيك.. وهذه الحرارة الشديدة في أصابع يديك ؟؟!!..

فإذا بدمعة ساخنة تسقط من عينه فتغرقني .. وتلهب جسدي وتحرقني .. كأنها جزء من بركان ملتهب .. يثور من قلب حزين ومكتئب !!.. وإذا بجد أجدادي يقول: إن هذه الدمعة الملتهبة .. والنظرة المكتئبة .. ما هي إلا رسالة عتاب .. وسؤال يبحث عن جواب.. أبعث بها إلى أحفادي .. وكل مخلص في بلادي .. لعلهم لها يستوعبون.. وللحكمة منها يفهمون وقبل فوات الأوان يعملون !!.. يا حفيدي .. قل لهم : لقد بنينا وشيّدنا ومازال بناؤنا يتحدّى الزمن .. وحفرنا وروينا وزرعنا .. ولم تزعزعنا المحن .. وملأنا الدنيا بخيراتنا .. وأفدنا العالم بخبراتنا .. لقد علّمنا العالم الفلك والهندسة والحساب.. وأخرجنا الكنوز من التراب .. ومازال لدينا من الأسرار .. ما يعجز عن فهمه العلماء ويحيّر الأفكار .. وما لم يصل إليه علماء العصور والأزمان .. الذين يفدون من كل مكان !!.. حتى أن العلماء في عصركم .. عجزوا عن فهم سرّ واحد من أسرار أجدادكم !!... وهو كيفية بناء الهرم ، القائم على هذه الأرض منذ

القدم!!.. وكنا نتغنّى بأمجادنا ، وبآمالنا فيكم من بعدنا ، فإذا بي وقد جلست هنا أرقبكم منذ آلاف السنين ، أنظر إليكم بقلب حزين !!.. وأراكم مازلتم تتغنون بأمجادنا نحن ، لا بأمجادكم ، وتتباهون بما شيّدناه نحن ، لا بما شيّدتموه أنتم بأعمالكم!!.. وأراكم تأكلون مالاتزرعون، وتستخدمون مالا تصنعون ، وتُوَلُّون أموركم من لا يخلصون ، وتحتكمون إلى من لا يَصْدُقون .. وتأتمنون من يخونون ، وتهملون من بالإخلاص يعملون ، وتتركون شبابكم بعقولهم يهاجرون!!.. وبين سواعد الأعداء ترتمون ، وتضطهدون من بالحق ينادون !! فتصدّعت وسقطت مبانيكم ، وجفَت وبارت أراضيكم ، وتحطمت على الأوهام أمانيكم، وملأت الدموع مآقيكم ، وطمع الأعداء فيكم !!..

فإلى متى تنامون ؟!.. وبماذا تحلمون ؟!.. وماذا من الأعداء تنتظرون ؟!.. فإن توقعتم من أعدائكم خيراً ، فأنتم إذن واهمون !!..

أفيقوا يا أحفادي واستيقظوا .. وإلى آفاق المستقبل حلّقوا وانفذوا .. وتذكّروا قولة واحد من أحفادي .. أنه إذا الشعب يوماً أراد الحياة ، فلابد أن يستجيب القدر .. ولابد لليل أن ينجلي ، ولابد للقيد أن ينكسر ..

فهل عرفتم الآن يا أحفادي .. أسباب سقوط الحجر ؟؟!!..



[اهدموا هذه الأقفاص !!..]

إذا ساقك حظك التعس ، ودخلت .. لا قدّر الله .. قاعة من قاعات المحاكم المصرية ، ستشاهد منظرًا قد يكون مألوفًا لك إن كنت من زائرى حدائق الحيوانات .. سترى قفصًا حديديًا كتلك التى تراها فى حدائق الحيوانات .. التى يرقد بداخلها أسد أو نمر أو ذئب ، أو غير ذلك من تلك الحيوانات التى يُخْشَى من وجودها خارج الأقفاص ، ويمكننا أن نشاهد تلك الحيوانات ونتفرّس فيها بكل اطمئنان .. وأن نراقب حركاتها دون خوف ولا وجل .. فهى ليست حرّة ، بل حبيسة تلك الأقفاص التى تقينا شرّ أخطارها . وطبعًا من الحكمة وضع هذه الحيوانات فى تلك الأقفاص ، وإلا لما كان هناك زائرون لحدائق الحيوانات .. أما تلك الأقفاص التى نجدها فى قاعات المحاكم .. فلا نرى بداخلها أسدًا يزأر ، ولا نمرًا يزمجر ، ولا ذئبًا يعوى .. ولكن يوضع فيها آدميون .. وينظر إليهم وكأنهم حيوانات مفترسة وُضِعَت فى أقفاصها اتقاء لخطورتها على الآدميين .. وهم فى الحقيقة ليسوا بحيوانات ، ولا خطورة منهم على مشاهديهم ، ولا يحملون رشاشات ولا مدافع ، ولا قنابل ، ولا يثيرون فزع الحاضرين ، وكل ما يقال عنهم ، إنهم متهمون !!..

وهناك مقولة شهيرة تتردّد على ألسنة رجال القانون نصها : " المتهم برىء حتى تثبت إدانته " ، أى أن المتهم يعتبر بريئًا طالما لم يصدر حكم القضاء بإدانته .

إذن .. لماذا يوضع هؤلاء المتهمون بداخل هذه الأقفاص كما توضع الحيوانات ؟!..

ألا يعلم واضعو هذه الأقفاص أن الله تعالى قد كرّم بنى آدم فى قوله تعالى : (ولقد كرّمنا بنى آدم) " ٧٠- الإسراء " ، أم أنهم للقرآن لا يقرأون ، أو لمعناه لا يفهمون ؟!.. لقد شاهدنا فى الأفلام والمسلسلات والحلقات الأجنبية قاعات المحاكم فى الدول الأوروبية والأمريكية ، فلم نجد فيها مثل هذه الأقفاص ، ولم نر متهمًا يقف أمام الناس فى صورة مهينة كالتى نراها فى بلادنا .. بل إنك لا تستطيع أن تميّز بين المتهم والمدّعى

والشاهد والمحامى ووكيل النيابة إلا بالمواقع التى يقفون فيها وبالكلمات التى يُدْلون بها وتجد المتهم جالسًا ومرتديًا الزّى الذى اختاره لنفسه ويرد على أسئلة السائلين ، وقد يضع ساقا فوق ساق .. فلا قيد عليه ولا حرج .. وقد يرتفع صوته محتجًا إذا لم يعجبه سؤال أو تعليق يرى فيه استفزازًا له .. فهو يعرف أن كرامته كإنسان محفوظة ومصانة.، فلماذا لا يكون التعامل مع المتهم فى بلادنا على نفس المستوى كما يعامل المتهم فى الدول المتحضرة ؟؟!!..

أليس الإنسان هو الإنسان فى أى مكان على أرض الله ؟؟!!.. أليس الأصل واحدًا لكل بنى الإنسان ؟؟!!.. لقد ساوى الله تعالى بين الناس جميعًا فى الخلق ، فى عدد العيون والأيدى والأرجل والأصابع ، وكل ما فى الجسد من أعضاء ، وفى تكوين الإنسان من الداخل .. حتى يعلم الناس جميعًا أنهم متساوون ، وألا تفاضل بينهم إلا بالتقوى والعمل الصالح ، ويقول الله تعالى : (يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) صدق الله العظيم ." ١٣– الحجرات " .

وهكذا فإن الله تعالى لم يجعل معيار الأفضلية بين الناس على أساس المال أو الجاه أو السلطة أو اللون أو الجنس أو الوطن ، ولكن جعل المعيار الأساسى للأفضلية بين بنى الإنسان " التقوى والعمل الصالح " .

لقد أخذ الغرب من حضارتنا الإسلامية ما يرفع شأنهم .. وجعلوه منهاجًا يُتوِّج حضارتهم وأصدروا إعلان حقوق الإنسان فى منتصف القرن " العشرين " تقريبًا ، بينما أعلن الإسلام حقوق الإنسان فى أعظم صورها فى القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرناً ويزيد .. ومع ذلك سبقوا هم .. وتخلفنا نحن .. لأنهم أخذوا منا ما يفيد ويقدّم .. وأخذنا منهم ما يضرّ ويؤخّر، وليس عيبًا أن نأخذ من غيرنا ، بشرط أن نأخذ ما

يفيد، وما يتفق مع قيمنا وديننا.. إن وجود هذه الأقفاص فى قاعات المحاكم هو صورة من صور التخلف ، ومظهر يتناقض مع أى مظهر حضارى ، كما يتناقض مع إرادة الله تعالى فى تكريم الإنسان ولا يتفق حتى مع المبدأ الذى نسمعه دائمًا بأن المتهم برىء حتى تثبت إدانته ..ألا تعلمون أن بعض الشعوب الأجنبية تتندّر بهذا المنظر السخيف .. منظر المتهمين بداخل هذه الأقفاص اللعينة التى تجعلنا فى أعين الآخرين متخلفين ومستبدّين وقساة القلوب؟؟!!.

ألم يحن الوقت بعد لكى نتحضر ونتمدين ، وأن نتعامل فيما بيننا على أننا جميعًا آدميون؟! إنني أبعث هذه الصرخة " المكتومة " إلى السيد وزير العدل ، وإلى السيد وزير الداخلية ، وإلى السيد الدكتور رئيس الوزراء ، وإلى السيد رئيس الجمهورية .. وأقول لهم :

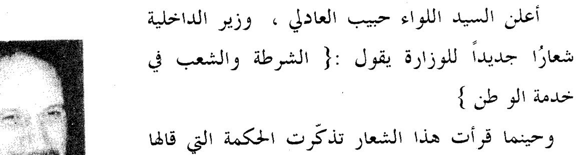
أيها المسئولون .. اهدموا هذه الأقفاص .. وأزيلوا آثارها من قاعات المحاكم ، وأقسام الشرطة .. واستبدلوها بأماكن محترمة لجلوس المتهمين..وليعامل المتهم كما يعامل الأبرياء.. حتى يصدر حكم القضاء ، فكم من متهمين بعد حكم القضاء ، اتضح أنهم أبرياء !!..

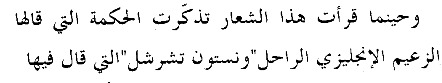
اهدموا هذه الأقفاص اهدموها .. يَهْدِكُم ويرحمكم الله!!..



الشرطة في خدمة الشعب

" شعار بلا مضمون "





اللواء / حبيب العادلى

أعلن السيد اللواء حبيب العادلي ، وزير الداخلية شعارًا جديداً للوزارة يقول :{ الشرطة والشعب في خدمة الو طن }

وحينما قرأت هذا الشعار تذكّرت الحكمة التي قالها الزعيم الإنجليزي الراحل"ونستون تشرشل"التي قال فيها { كنت أسير بين المقابر ، فوجدت لوحة كُتب عليها " هنا يرقد الزعيم السياسي والرجل الصادق " فعجبت كيف يدفنون اثنين في تابوت واحد }!!.. وأنا بدوري أتعجّب كيف يجمع السيد وزير الداخلية بين عنصرين متناقضين في خندق واحد !!..

إن بين الشرطة والشعب فجوة كبيرة ، وأزمة ثقة لا يستطيع إنسان على أرض هذا الوطن أن ينكرها.. ولهذا فإن المواطنين من أبناء هذا الشعب لا يشعرون بالطمأنينة في تعاملهم مع رجال الشرطة ، وخاصة أولئك الذين يسيئون استخدام سلطاقم في تعاملهم مع بعض المواطنين..

ولو كان الشعار بعبارة " الشرطة في خدمة الوطن " لقلنا " صح " .. ولو قلنا شعارًا بعبارة " الشعب في خدمة الوطن " لقلنا أيضًا " صح " لأن كلا من الشرطة والشعب يحرص على خدمة الوطن ، ولا شك في ذلك .. أما أن نجمع بين الشرطة والشعب في خندق واحد ، فهذا غير صحيح !!..

وأقولها بكل صدق للسيد وزير الداخلية ..إن للكثيرين من أفراد هذا الشعب " وأنا واحد منهم " تجارب كثيرة تؤكّد وجود تنافر كبير بين الشرطة والشعب .. وهذا هو السّر في انعدام الثقة والتعاون بين الفئتين .. ونحن نعلم بالتأكيد أن السيد وزير الداخلية يقصد من وراء شعاره الجديد أن يعيد الثقة والتعاون بين الشرطة والشعب لخدمة الوطن، ونحن نشكره على ذلك ، ولكن ليس بالشعارات فقط تتحقق الآمال !!.. كما نتمنى أن يوفقه الله في إزالة هذه الفجوة التي تفصل بين الشرطة والشعب نتيجة للممارسات الخاطئة التي يرتكبها " بعض" رجال الشرطة ضد المواطنين .. وإذا لم يكن السيد وزير الداخلية مقتنعاً بوجود هذه الفجوة وأزمة الثقة بين الشرطة والشعب ، فإني أرجو أن يطلب من أية جريدة كبيرة أن تقوم بعمل استفتاء "حرّ " بين المواطنين حول العلاقة بين الشرطة والشعب .

ولعلنا نذكر الشعار السابق لوزارة الداخلية الذي كان يقول : " الشرطة في خدمة الشعب " ولم يكن إلا مجرد شعار "بلا مضمون ".. وكم سمعنا هذا الشعار يتردّد على ألسنة كثير من المسئولين في وزارة الداخلية !!.. وكم شاهدنا من اللافتات التي تحمل هذا الشعار والتي كانت معلّقة في مداخل أقسام الشرطة ومباني مديريات الأمن !!..

وعندما كان المواطن يقرأ هذا الشعار قبل أن يدخل قسم الشرطة ، كان يشعر بالطمأنينة ، فيدخل رافعًا رأسه ، ويتعامل مع بعض رجال الشرطة داخل القسم ، ثم يخرج ، وينظر إلى اللافتة المعلّقة في مدخل القسم والتي تقول " الشرطة في خدمة الشعب"، ثم يهزّ رأسه ، ويتساءل بينه وبين نفسه ، أين تلك الخدمة التي يتحدثون عنها؟؟!!.. ومن هم المقصودون بالشعب الذي يقومون بخدمته ؟؟!! ثم يقول لنفسه : لقد تأكدت أنني لست واحدًا من هذا الشعب .. فإن ما لاقيته داخل القسم لا يدل بحال من الأحوال على أن أمثالي يعتبرون من ضمن ذلك الشعب الذي يتحدثون عن

خدمته .. إذن .. فلابد أن الشعب نوعان .. أو أنواع .. نوع تكون الشرطة في خدمته حقاً ، ويعتبر من الدرجة الأولى .. ونوع آخر تعتبره الشرطة درجة رابعة أو خامسة ، من بني الإنسان الذين نسمع " أحيانًا " أن لهم حقوقاً .. وأنهم جميعًا متساوون !!..

وقد يتساءل القارئ .. لماذا قلت : درجة رابعة أو خامسة ، ولم أقل : درجة ثانية أو ثالثة ؟!.. وأقول : إنني قصدت ذلك .. فهناك مواطن درجة أولى .. ومواطن درجة ثانية ، ومواطن درجة ثالثة ، ومواطن درجة رابعة .. وهكذا ..

فالمواطن الذي من الدرجة الأولى ، لا يحتاج إلى الذهاب إلى أقسام الشرطة عند حدوث المشاكل ، إذ يكفيه أن يرفع سماعة التليفون ويطلب السيد وزير الداخلية ، أو السيد مساعد الوزير ، أو السيد مدير الأمن ، أو السيد مأمور القسم ، ويعرض عليه المشكلة ، وفي الحال ترفع سماعات التليفونات على جميع المستويات ، وتصدر الأوامر التي لا تُناقش ، والتي تُنفَّذ فورًا ، وتُحل المشكلة في دقائق معدودة .. وتتردّد عبارات : تمام يافندم .. حالا ياباشا .. أمرك ياباشا ..مع الشكر ياباشا .. إنت تأمر ياباشا ..ما نتحرمش يا باشا ..

ومواطن الدرجة الثانية ، قد يكون ممن ساعدهم الحظ وأعطتهم الدنيا ، وأصبحوا يحملون ألقاب الفنان أو الفنانة أو الراقصة الشهيرة ، التي يمكن أن تسيء معاملة بعض رجال الشرطة ، ومع ذلك تجد من يغفر لها الذنوب في دنيا الشرطة ، بينما لا تغفر ذنوبها عند الله !!.. هذا النوع من الشعب يقابل في أقسام الشرطة وفي مديريات الأمن بكل احترام وبغاية الترحيب ، حتى ولو كان مشكوًا في حقه !!.. وفي دقائق أيضًا

تنتهي المشكلة مهما كانت .. والويل كل الويل لأىّ رجل شرطة يتباطأ في خدمة هذا النوع من الشعب في مثل هذا المقام !!..

وهناك أيضًا مواطن الدرجة الثالثة الذي يكون قريبًا أو صديقًا لمسئول الشرطة ، حتى يكون من حقه أن يجلس على الكرسيّ وتُقدَّم له التحية المناسبة ، ثم تُعرض المشكلة، فيحرص المسئول على طمأنة قريبه أو صديقه بأن المسألة سهلة وبسيطة ، وبعد أن يتم له ما يريد ، يقدم له الشكر، ثم يخرج وعلامات السرور والرضى ترتسم على وجهه ، ويقول في نفسه : " صحيح اللي له ظهر ما ينضربش على بطنه " !!..

والويل كل الويل لأى مواطن من الدرجات الدنيا الأخرى ، لو تعرّض لأحد من أصحاب هذه الدرجات الأولى ، حتى لو كان يطالب بحق له ، أو يحتج على إهانة لحقت به .. الويل له إن دخل قسم الشرطة !!.. فهناك سيكرّمون آدميته بما لم يسمع عنه أو يشاهده من قبل من التكريم ، ويكون محظوظًا جدًا ، ولحقه دعاء والديه ، إن طلبوا منه التنازل عن شكواه ، والاعتذار ، والتعهد بعدم العودة لمثل هذه المواقف وإلا ... (؟) ..

ويخرج هذا المواطن وهو يتنفس الصعداء ، ويقول في نفسه : الحمد لله أن وصل الأمر إلى هذا الحدّ فقط .. وبذلك يتعلم درسًا جديدًا لم يتعلمه في البيت ولا في المدرسة.. درسًا في الأدب، وحسن التعامل مع الأقوياء والكبار ، ويعترف بأن له حدودًا يجب ألا يتعداها، ثم يقسم ألا يسير بعد ذلك إلا بجوار الحائط !!..

أما ذلك المواطن الذي يتخلّى عنه الحظ .. ولا تلحقه دعوات الوالدين ، ويتخيل أن له كرامة يجب أن يدافع عنها ، وأن له حقوقًا لا يتنازل عنها ، وأنه ليس من حق أحد أن يعتدي عليها أو يمسّها بسوء .. هذا المواطن ، لا طلعت عليه الشمس ، ولا

ظهر في ليله القمر .. ولا أعانه السمع ، ولا صَدَقَه البصر !!.. فهذا المواطن " المتمرّد " يُؤْمَرُ به فيوضع فيما يسمونه " تجاوزًا " بغرفة الحجز .. بينما الأجدر بها والأنسب أن تُسمَّى بغرفة " العجز " !!.. يوضع هذا المواطن في ذلك المكان ، دون اعتبار لمكانته الاجتماعية، إن كان صاحب وظيفة محترمة ، أو صاحب رسالة سامية يؤدّيها في المجتمع ، ودون مراعاة لسنّه ، سواء كان شيخًا مسنًا أو شابًا يافعًا ، أو فتى قاصرًا ، فهنا تذوب الفوارق.. ويتساوى المواطنون حقًا .. فالكل في " التخشيبة " سواء !!..

يدخل المواطن " التخشيبة " أو بمعنى أرق " الحجز " فيجد بعض المواطنين الآخرين الذين يتدرجون في درجات المواطنة .. من الدرجة الرابعة إلى ما بعد الدرجة العاشرة .. ثم يجد منهم استقبالا " رائعًا " قد يكون " حارًا " بكل معانى الحرارة " الملتهبة " .. و"يرحّبون " به أيّما ترحيب ، ويتطوعون ليحملوا عنه أعباء ما يحمل من نقود وغير ذلك ويساعدونه على " تنظيف "جيوبه و "يدلّلونه " بتسديد بضعة لكمات " حنونة " ، ويقضي وقتا " ممتعًا " ..مع نخبة " ممتازة " من البشر .. فمن تاجر مخدرات .. إلى نشال أوتوبيسات .. إلى محتال ومحترف تعدّيات ..إلى صاحب سوابق تعدّ بالعشرات !!..

ثم يخرج هذا المواطن المتمرّد _ إن قُدِّر له أن يخرج _ يمشي على ساق ويعرج بالأخرى .. ويرى بعين ويغلق الثانية ، فهي في إجازة مرضيّة إلى أجل غير مسمى .. ويُسمِّي هذا المواطن يوم خروجه هذا بيوم ميلاده الجديد .. ويقسم بأغلظ القسم ، أنه سيظل محافظًا على كرامته إلى آخر يوم في حياته ، ولكن بأسلوب " جديد ومختلف ".. وذلك ..بألا " يسمع .. ولا يتكلم .. ولا يرى " !!..

مذابح المسلمين في الهند

إذا كنا قد سمعنا عن المذابح التي حدثت للمسلمين في البوسنة والشيشان وغيرها من البلاد التي انشقّت على النظام الروسي بعد انهيار الشيوعية ، فقد يظن البعض أن الشيوعيين فقط وراء هذه المذابح التي تُدَبَّر ضد المسلمين ، ولكن الحقيقة أن هناك حملة شعواء وحرباً شرسة ضد الإسلام على المستوى العالمي .. ويقود هذه الحملات والحرب الضروس ضد الإسلام والمسلمين ، اليهود الصهاينة ، ومن يقف وراءهم من المتعصبين ، سواء كانوا في الغرب أو الشرق .. ولقد ظهرت ظواهر هذه الحرب في المجتمعات الغربية بشكل علني ودون مواربة ، حيث أعلنوا أن الإسلام هو عدوهم الأول في هذه المرحلة ، وقد اتضح ذلك في تخاذلهم وتراخيهم في وقف الاضطهاد والمذابح التي تجري للمسلمين في البوسنة والشيشان وكشمير ، وغيرها من الشعوب التي تجاهد من أجل استقلالها ، ورفع راية الإسلام على أرضها .

ولكن هل سمعنا عن المذابح التي كانت ومازالت حتى اليوم تحدث للمسلمين في الهند ؟!!.. دون أن يتصدى المجتمع الدولي لهذه المذابح ، ودون أن نلمس أى رد فعل فعال ومؤثر من الدول الإسلامية التي شغلتها الصراعات الإقليمية فيما بينها ، ولا تهتم بما يلقاه المسلمون في العالم من اضطهاد ، إلا بإلقاء بيانات الشجب والاستنكار والاحتجاج، وذلك في صمت رهيب ، لا يعفيهم أمام الله من مسئولية السلبية واللامبالاة إزاء واجباتهم للدفاع عن الإسلام والمسلمين .

لقد كنت في زيارة لمدينة " كانتون " بولاية أوهايو الأمريكية حين وقعت في يدي مصادفة ، نشرة إعلامية من خمس ورقات باللغة الإنجليزية صادرة عن مؤسسة دولية

لحقوق الإنسان في الهند ، ومقرها " شيكاغو " بالولايات المتحدة الأمريكية وتاريخ النشرة " نوفمبر عام ١٩٩٣ .

وعندما تصفحت النشرة وما بها من صور التقطت بواسطة المراسلين الصحفيين ، اقشعرّ بدني ، وازداد رأسي شيباً على شيب .. وتذكّرت أمير المؤمنين " المعتصم بالله بن هارون الرشيد " الذي جهّز جيشاً من اثني عشر ألفاً ، وتوجه إلى مدينة " عمّورية " وحاصرها ثم اقتحمها ، إنقاذاً لامرأة مسلمة واحدة لطمها رجل على وجهها فصاحت : وامعتصماه !!..

وذهب المعتصم إلى مكان أسرها وأطلق سراحها ، ثم ملّكها الرجل الذي لطمها ، وجعله عبداً لها .. وقلت في نفسي : ألا يوجد في هذا العالم الإسلامي الكبير الذي بلغ أكثر من ألف مليون نسمة ، معتصم واحد يقود الأمة الإسلامية نحو إنقاذ المسلمين ، ووقف إراقة دمائهم الزكيّة ، والتصدّي لاضطهادهم ، ورفع شأن راية الإسلام والدفاع عن المسلمين ؟؟!!..

أيها المسلمون الغيورون .. سأترجم لكم بإيجاز بعض ما قرأته في نشرة المؤسسة الهندية لحقوق الإنسان بشيكاغو ، بذكر بعض المقتطفات من هذه النشرة في نقط موجزة بعد ترجمتها :

اندفعت عاصفة من الغوغائيين الهنود في مدينة " بومباي " يقتلون ويحرقون الناس لأنهم مسلمون ، ولم يسلم أحد من المسلمين ، سواء في الأحياء الفقيرة أو الراقية ، ولا في مكاتب العمل في عربدة عنيفة حيث تركوا ستمائة من القتلى وألفين من المصابين ، وربما أكثر لأن جرائم القتل والإحراق عمداً . وعمليات السلب والنهب لم تكن عشوائية أو اعتباطاً ، بل كانت في الحقيقة منظمة بواسطة العصابات الهندية ، بتحريض من شرطة بومباي ، وكانت موجهة ضد المسلمين وأعمالهم وممتلكاتهم..وقد ظهر

امتداد تعاون البوليس مع الغوغائيين الهنود ، هذا التعاون الذي انتشر بين قوات الشرطة بالكامل ، باستثناء بعض الضباط الكبار فقط .. وقد حصلت جريدة " النيويورك تايمز " على صور من المحادثات بين غرفة عمليات البوليس وبين الضباط في الشوارع ، وهي تبين أن الضباط في مراكز القيادة كانوا يطالبون رجال الشرطة بصفة متكررة بأن يسمحوا بإحراق بيوت المسلمين ، ومنع وصول المساعدات للضحايا وخلال التسعة أيام من الهجوم الغوغائي لم تبذل السلطات المحلية ولا الحكومة المركزية أية جهود لوقف نزيف الدم .

وفي فقرة أخرى من النشرة قرأت ما يلي : إن تدمير مسجد " باباري " الذي بُنيَ منذ أربعمائة وستين عاماً ، ليس فقط هجوماً على الشخصية الثقافية للمسلمين ، بل إنه جزء من خطة منظمة لإرهاب المسلمين وإذلالهم وإفنائهم ، وإعلانٌ بأن موجة جديدة من المذابح سوف تجري ضد المسلمين.. وقد وصفت هذه العمليات بأنها اضطهاد منظم ضد الأقليات الدينية ، ومجازر محلية بتحريض رسمي .

ولقد سِيقَ الآلاف من الرجال والنساء والأطفال إلى الموت بأقصى درجات القسوة.. لقد اغتصبت النساء والفتيات ، وشُوِّهت وجوههن بإلقاء الأحماض عليها ، ونُهِبَت وأُحرقت الأعمال والممتلكات التي تساوي مئات الملايين من الدولارات ، وطُرِد مئات الآلاف ، ثم وجّه البوليس اللوم للمسلمين بسبب أحداث الشغب واعتقلوا آلاف المسلمين وحاكموهم باتهامات باطلة .

وقد رأى بعض المراسلين الأجانب مجموعة من الغوغائيين المهتاجين يرقصون في الطريق ، وقد تبين للمراسلين أن هذه المجموعة ترقص فوق جثة رجل مسلم ميت!!..

وفي فقرة أخرى بعنوان : (لقد فُتحَت جهنم على نساء المسلمين في الهند) جاء ما يلي :

إن مأساة قاسية قد حدثت لنساء المسلمين .. فبالنسبة لهن .. كأن جهنم قد فُتحَت، بينما كان الرجال المسلمون يُقْذَفون في النيران المشتعلة وهم أحياء ، أو توضع حول رقابهم إطارات الكاوتشوك المشتعلة ، ولقد جُرِّدَت النساء من جميع ملابسهن ، وأمروهن بالجري المستمر وهن عرايا تماماً .. حتى يعجزن عن مواصلة الجري ، وكنَّ يجرين حفاظاً على حياتهن ، ومعهن أطفالهن ، يلتصقون بهن وهم يرتعدون من الخوف .. وعندما تسقط النساء من الإعياء ، يصبحن فريسة سهلة للسفاحين والقتلة .. ولقد اغتصبوا فتاة حديثة الزواج تبلغ العشرين من العمر ، وذبحوا زوجها أمامها ثُم ألقوا الأحماض على جسدها .

وتقول هذه الفقرة أيضاً : وربما كانت الورطة التي تعرضت لها " جميلة بانيو " هي الأكثر مأساوية في كل ما حدث ، حيث رأت زوجها وأطفالها الثلاث يُذْبَحون أمام عينيها ، ثم تُقْذَفُ أجسامهم في النيران المشتعلة ، ففقدت توازنها العقلي .. وكانت بين العديد من النساء اللاتي جاءوا بهن إلى المعسكر عرايا تماماً ..ولم تفتح عينيها في الأيام الخمسة الأخيرة (التايمز أوف إنديا ٢٢ ديسمبر سنة ١٩٩٣) .

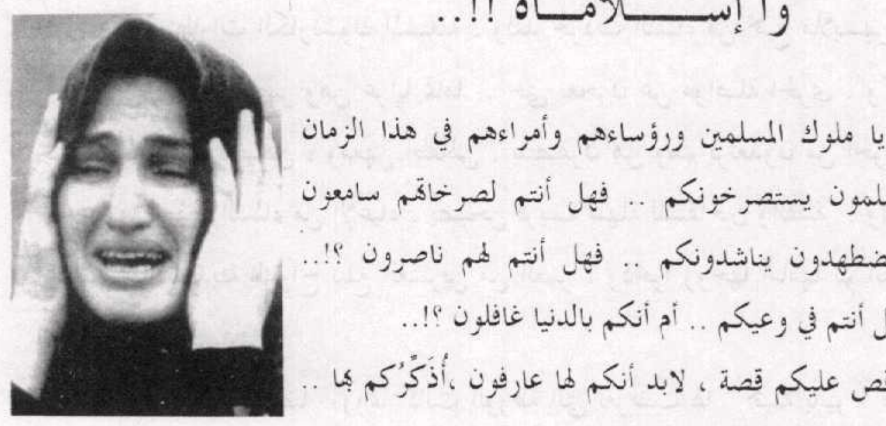
هذه بعض المقتطفات مما يحدث للمسلمين في الهند ، الذين يطلقون صرخاتهم المكتومة التي لا يسمعها كثير من المسلمين الذين تلهيهم مناصبهم وعروشهم وأموالهم عن نجدة إخوتهم وأخواتهم في الإسلام ، الذين يتعرّضون كل يوم للاضطهاد والإذلال والقتل والإحراق والاغتصاب !!..

إنني أكاد أسمع صرخاتهم التي تهتزّ لها أركان السماوات ، بينما لا تهتزّ لها قلوب الكثيرين ممن يحملون الأسماء الإسلامية في شهادات ميلادهم ، ولا يعرفون شيئاً عن جوهر الإسلام !!..

هذه الصرخات التي تطلقها قلوب المسلمين المضطهدين ، والتي تشقّ عنان السماء ،

صرخة ... (وا إسلاماه) !!.

وا إســــلامـــاه !!..



وا إسلاماه

يا ملوك المسلمين ورؤساءهم وأمراءهم في هذا الزمان المسلمون يستصرخونكم .. فهل أنتم لصرخاتهم سامعون والمضطهدون يناشدونكم .. فهل أنتم لهم ناصرون ؟!.. وهل أنتم في وعيكم .. أم أنكم بالدنيا غافلون ؟!..
سأقص عليكم قصة ، لابد أنكم لها عارفون ،أُذَكِّرُكم بها .. لعلكم من الغفلة تفيقون!!..

دخل رجل على أمير المؤمنين " المعتصم بن هارون الرشيد "، وقال له : يا أمير المؤمنين، كنت بعمّورية " مدينة بيزنطية في آسيا الصغرى" وكانت هناك جارية من أحسن النساء ، أسيرة.. قد لطمها رجل على وجهها ، فنادت : وامعتصماه !!.. فقال الرجل الذي لطمها: وماذا يفعل لك المعتصم ؟!.. هل يأتي على " جواد " أبلق لينصرك ؟!.. وزاد الرجل في ضربها .

عندئذ غضب المعتصم .. وأدار وجهه جهة " عمّورية " ، ثم قال : لبيكِ أيتها الجارية ، لبيك ، هذا المعتصم بالله قد أجابك .. ثم أمر بتجهيز جيش من إثني عشر ألفاً من الخيول، وتوجّه بجيشه إلى عمّورية، وحاصرها حصاراً محكماً حتى فُتحت له .

فلما دخلها ومعه الرجل الذي قصّ عليه حديث الجارية ، قال له : هيّا معي يا رجل إلى الموضع الذي رأيت فيه الجارية .. فسار به إلى موضعها .. فأطلق المعتصم سراحها ، وقال لها : يا جارية ، هل أجابك المعتصم ؟ .. فقالت : نعم .. أعزّكَ الله

وأكرمك .. وأصدر المعتصم أمره فتملّكت الجارية الرجل الذي لطمها ، والسيّد الذي كان يملكها وجميع ماله !..

هذا هو المعتصم !!.. وهذا هو رد فعله إزاء صرخة " وامعتصماه" من امرأة مسلمة واحدة !!.. فما بال المسلمين اليوم ، الذين انقضَّ عليهم أعداؤهم من كل صوب، يقتلون رجالهم ، ويستحيون نساءهم ، ويهتكون أعراضهم ويسفكون دماءهم ، ويهدمون بيوتهم ؟!.. وتدوّي في عنان السماء صرخاتهم .. "واإسلاماه" !!.فلا مجيب لصرخاتهم .. ولا منقذ لأسيرهم .. ولا مخلّص لاضطهادهم !!..

يا حكام المسلمين .. هل أصابتكم الدنيا بالصّمم ؟!.. أما آن لكم أن تفيقوا ، وأن يكون كل منكم كما كان المعتصم ؟!.. وأن تلبّوا الصرخة التي تهتزّ لها أركان السماء .. الصرخة التي ما زال المستضعفون من المسلمين يطلقونها صباح مساء ...

صرخة .. (وا إسلاماه) !!..

مع الدكتور مصطفى محمود .. ووجهة نظر !!



أستاذنا الكبير ، والعالم المجتهد ، والكاتب الإسلامي الجليل

الدكتور مصطفى محمود أولاً وقبل كل شيء .. إنني

واحد من أشد المعجبين بكتاباتكم ، بل والمحبين لكم ..

حتى أنني أستعين أحياناً في كتاباتي ببعض أقوالكم ..

وأعتزّ بأن مكتبتي تضم عدداً كبيراً من كتبكم القيمة .

وما يشدّني إلى حبّكم والإعجاب بكم هو إخلاصكم فيما تقولون ، وشجاعتكم في صدق ما تكتبون وأنكم لا تخشون في الحق لومة يلومها اللائمون !!..

وأنا واثق أنكم تؤمنون معي بأننا كبشر ، قد نخطئ مرة ، وأخرى نصيب .. فالكمال والعلم بكل شيء لله وحده علام الغيوب .. وقد دعانا الله سبحانه وتعالى لكي نتدبر القرآن الكريم وما فيه من معاني الآيات الكريمة ، وما وراء كلماتها ، وذلك في قوله تعالى: { أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ }.." ٨٢ – النساء "

ومن هذا المنطلق وهذا التوجيه الإلهي الكريم والدعوة للبحث والتأمل والاجتهاد، فالمؤمنون المخلصون من أمثالكم ، يجتهدون ويفسرون بقدر ما يهديهم الله تعالى من علم وانشراح في الصدور .

ولكن هذا لا يمنع أن يخطئ أحدنا ويصيب آخر ، وقد تختلف وجهات النظر بين أكثر من باحث ومجتهد ، في أمر من الأمور .. ونحن كما قلت .. بشر .. لا نبلغ الكمال مهما كان علمنا .. ورضي الله تعالى عن عمر بن الخطاب الذي قال مرة : " أصابت امرأة وأخطأ عمر" !!

وأرجو أن يفسح أستاذنا الكبير الدكتور مصطفى محمود صدره لأن أبدي وجهة نظر قد تختلف مع وجهة نظركم في جزئية من موضوع من الموضوعات التي كتبتم فيها.. وهذا الاختلاف في وجهات النظر لا يؤثر في تقديرنا العميق لمكانة الدكتور

مصطفى محمود، ككاتب إسلامي مجتهد ، بل نتناول هذا الاختلاف في وجهات النظر من منطلق الحب والاحترام المتبادل ، وتبادل الآراء مع كاتب عظيم من أصحاب الأقلام الصادقة والمخلصة والشجاعة .. ولن يحزنني أبداً أن تكون وجهة نظري بعيدة عن الحقيقة ، وأن تكون وجهة نظر أستاذنا الدكتور مصطفى محمود هي التي على صواب .. فنحن جميعاً نهدف إلى الوصول إلى أقرب ما نكون من الحقيقة والصواب ..

أستاذنا الكبير .. لقد ذكرتم في كتابكم " إسرائيل .. البداية والنهاية " فيما يتعلق بالإفسادتين والعلو الكبير لبني إسرائيل ، وجاء في صفحة " ٩٩ " بالتحديد ما يلي " ويقول ربنا عن هذا الحدث : (وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً. فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُم عِبَاداً لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيد فَجَاسُوا خلاَلَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْداً مَفْعُولاً) " ٥ الإسراء" وقلتم : " وليس هؤلاء العباد بختنصر ولا تيتوس كما زعم بعض المفسرين ، فهؤلاء كانوا جبابرة ولم يكونوا عباداً .. وهم لم يجوسوا خلال الديار بل سحقوها ومحقوها ودمّروها ، وذلك في زمان السّبي البابلي .. وإنما تتحدث الآية عما فعل عباد الله المسلمون في غزوهم لخيبر . فهؤلاء الذين جاسوا خلال الديار .. ديار خيبر وبني النظير وقينقاع .. الخ ..وكان انتصاراً ولم يكن دماراً ، وكان ذلك بعد معركة الخندق وما حدث فيها من تأليب اليهود لقبائل الجزيرة وجمعهم لكل العرب في جيش واحد للقضاء على محمد عليه الصلاة والسلام ودعوته بضربة واحدة ، وما حدث من خيانة اليهود لعهد الأمان الذي قطعوه مع الرسول ، وانضمامهم لصف أعدائه حينما التحم الجيشان.. (وكان وعداً مفعولاً) .

وبعد إذن أستاذنا الكبير ، أرجو أن يتسع صدركم لإبداء رأيي في وجهة نظركم في ما يتعلق بالإفسادة الأولى لبني إسرائيل والتي تقولون إنها التي حدثت من تآمر بني خيبر ضد المسلمين .

وأقول إن وجهة نظري تختلف عن وجهة نظر أستاذنا الكبير .. لأن الإفساد المذكور في القرآن الكريم لبني إسرائيل مصحوب بالعلوّ الكبير في المرتين .. والإفساد الذي قام به بنو خيبر لم يكن مصحوباً بعلوّ ، ولم يحقق أي انتصار لهم ، بل استطاع المسلمون القضاء عليه في فترة وجيزة .

وتقولون : إن المقصود بعبارة " عباداً لنا أولي بأس شديد " بأنهم المسلمون الذين انتصروا على بني خيبر ..

وأقول : إن الناس جميعاً مهما اختلفت عقائدهم ، هم عباد الله ، كما أن انتصار المسلمين على يهود بني خيبر لم يترتب عليه دخول بيت المقدس ، لأن بني خيبر كانوا في يثرب " المدينة المنورة "، والآية الكريمة تقول : (وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة) " ٧- الإسراء " .. والمسجد المقصود هنا هو المسجد الأقصى .. الذي دخله القادمون من بابل " العراق حالياً " .. ولقد تحقق العلوّ الكبير لليهود في المرة الأولى بعد أن أسّس "داود وسليمان " عليهما الصلاة والسلام ، الخلافة الإسلامية التي كانت عاصمتها " القدس " ، وبعد أن صار الهيكل الذي بناه سليمان قبلة أهل الإيمان حينئذ ، وامتدت أرض الخلافة الإسلامية في عهده من البحر إلى البحر ، ومن النهر إلى أقاصي الأرض، حتى شملت اليمن والعراق وما وراءهما حتى قيل : " إن سليمان عليه السلام هو أحد أربعة حكموا الأرض أو أكثر شعوبها ، كما هو مشهور في كتب التاريخ .. وبعد هذا العلو انقسم بنو إسرائيل على أنفسهم ، وركنوا إلى الدنيا وأهملوا الكتاب ، فتمزّقت دار الخلافة وانقسمت إلى دولتين .. إسرائيل " لبنان وسوريا " . ويهوذا " فلسطين والأردن" التي كانت عاصمتها القدس " أورشليم " (قاموس الكتاب المقدس – مادة أورشليم).

بعد هذا العلوّ في الأرض لبني إسرائيل ، أعقبه الإفساد بترك تعاليم الله ، فسلط الله عليهم جبابرة بابل ليحقق وعده الأول بتدميرهم والقضاء على دولتهم في المرة الأولى. والإفساد المذكور في القرآن الكريم محدّد بنصّ واضح لا يقبل الجدل بمرّتين ،

وكل إفسادة مقرونة بعلوّ كبير لبني إسرائيل " في الأرض " ، ومعنى ذلك أن الإفساد في كل مرة يشمل أجزاء كبيرة من الأرض ، ويعم شعوباً كثيرة ، لقوله تعالى : (لَتُفْسِدُنَّ فِي " الأَرْضِ " مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيراً) .

أما الإفساد الذي حدث في المدينة في عهد الرسول كان إفساداً جزئياً وفي جزء محدّد من الأرض ، ولم يكن شاملاً .. كما أن قوله تعالى: (وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولاً) يفيد أن الإفسادة الأولى التي تم القضاء عليها ، انتهت قبل نزول القرآن الكريم ، أي قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم .

كما يثبت التاريخ أن بني إسرائيل لم تكن لهم دولة حول القدس إلا في منتصف القرن السادس قبل الميلاد ، تلك التي تم القضاء عليها بعباد الله أولي البأس الشديد ، الذين جاءوا من بابل " العراق " ، ولم يتحقق لليهود قيام دولة مستقلة حول القدس مرة ثانية إلا في عام ١٩٤٨ ، مما يدل على أن هذه المرة هي الثانية " والأخيرة " .

كما تقولون في نفس كتابكم " إسرائيل .. البداية والنهاية " صفحة ٧٠ بالنص " فهم المفسدون منذ الأزل في الأرض ، ويقول لهم القرآن : (لتفسدنّ في الأرض) .. أى في الأرض على اتساعها وإطلاقها ، وذلك من إعجاز القرآن ".. ومعنى قولكم ذلك يا أستاذنا ، أنكم تقصدون أن الإفساد في الأرض ، يعني الأرض على اتساعها وإطلاقها ، أى في أجزاء واسعة من الأرض .. وبما أن الإفساد الذي قام به بنو خيبر في يثرب" المدينة المنورة " كان في جزء محدود من الأرض ، وبعيد جداً عن بيت المقدس ، إذن فهو ليس الإفساد المقصود به في المرة الأولى ، الذي شمل أجزاء كبيرة من الأرض .

ختاماً .. أقول إنها مجرّد وجهة نظر ، قد تكون صحيحة ، وقد لا تكون كذلك .. ونحن نعرف أن أستاذنا الكبير الدكتور مصطفى محمود يؤمن بأنه يجب ألا يكون الاجتهاد قاصراً على فئة معينة من الناس ، بل على كل مؤمن أن يجتهد في فهم وتفسير ما يقرأ ، وبقدر ما منحه الله تعالى من نعمة العقل والفكر .

وهناك أمثلة متعددة لمن وفقهم الله تعالى في الاجتهاد والتفسير ، رغم أنهم لم يكونوا من المتخصصين في علوم الدين ، ولا من خرّيجي الكليات الأزهرية ، ومن هؤلاء العمالقة، أستاذنا الكبير الدكتور مصطفى محمود نفسه ، وكذلك الأستاذ عبد الرزاق نوفل ، رحمه الله ، الذي ربط بين القرآن الكريم والعلم في كثير من آيات الله .. إذن .. فالعبرة في الاجتهاد ليست بالدراسات المتخصصة فقط بقدر ما تكون بتقوى الله ودوام ذكره ، والتفكّر في عظمة خلقه .. وصدق الله تعالى إذ يقول : (وَاتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمكُمُ اللهُ) . ." ٢٨٢ – البقرة " .

وأرجو ألا يضيق صدر أستاذنا الكبير الدكتور مصطفى محمود بوجهة النظر التي أبديتها ، وهو الذي علّمنا سعة الصدر ، كما أتمنى ألا يحرمنا الله من اجتهاده وآرائه التي يستنير بها الكثيرون ، وأنا واحد منهم .. وفقنا الله جميعاً إلى سواء السبيل .

أيها السّادة .. ارحموا رئيس الجمهورية !!..



غريب أمر هؤلاء الناس .. الذين يتولّون أمر مصالح العباد .. فيهتمّون بكثير من الأمور ، إلا مصالح العباد .. فهم لا يتحرّكون إلا بأوامر وتوجيهات تأتيهم من " فوق " .. فكم من وزير أو محافظ تتكدّس أمامه شكاوى المواطنين واقتراحات الشرفاء !!.. فيحوّلها إلى المسئولين فى وزارته أو محافظته ، الذين يحفظونها ، وربما لا يبالون بها ، وهكذا تتجمّد مسيرات التطوير والإصلاح !!..

وبهذا تتفاقم المشكلات وتتعقّد الأمور ، ولا تتحرّك الأجهزة إلا بعد أن تحدث الكوارث ، فيدب النشاط فى أفواه المسئولين الكبار الذين يحاولون إظهار اهتماماتهم الدائمة بمصالح الجماهير ، ثم يسرفون فى الإعلان عن التعويضات والمباعدات التى تقدّم للمتضرّرين والمنكوبين .. ثم نسمع الكثيرين منهم يقولون إنه بناء على توجيهات السيد رئيس الجمهورية ، فإن الوزارة أو المحافظة قد اتخذت عدّة قرارات هامّة لحل مشاكل المواطنين ، وأنه شكلت لجان لدراسة هذه المشاكل ، وتقديم توصيات ومقترحات لتنفيذها .. ويعلم الله متى ستجد هذه المشاكل لها حلا !!..

ولنفترض أن السيد الرئيس لم يصدر هذه التوجيهات ، نظرًا لانشغاله بمسئولياته الكبيرة تجاه المشاكل الدولية والعربية والقومية .. لو أن هذه التوجيهات الرئاسية لم تصل إلى الوزراء والمحافظين .. هل يتوقف العمل وتضيع مصالح المواطنين ؟؟!. وعلى من له شكوى أن يبحث له عن حائط قوىّ ليضرب فيه رأسه !!..

إن نظام الحكم الداخلى فى بلادنا يقوم على اللامركزية ، أى أن كل محافظ هو ممثل لرئيس الجمهورية فى محافظته ، وكذلك كل وزير فى وزارته ، وهم مسئولون عن كل كبيرة وصغيرة فى وزاراتهم ومحافظاتهم.. ولهم صلاحيات اتخاذ القرارات التى تحقق الصالح العام ، وتساعد على حسن سير العمل وحل جميع المشكلات التى تطرأ فى مجالات العمل، ولو مارس كل مسئول عمله بروح المسئولية ، واهتم بمشاكل الناس ، لما اضطرّ بعض المتضرّرين من أصحاب الأعمال أن يوجّهوا استغاثاتهم للسيد رئيس الجمهورية على صفحات الجرائد ، ليصدر توجيهاته إلى أصحاب المناصب الرفيعة الذين يجلسون فى مكاتبهم " الفخمة " فى انتظار توجيهات السيد الرئيس !!..

وإننى أشفق على السيد رئيس الجمهورية ، الذى يوزّع الاختصاصات المختلفة على المختصين ، ثم فى النهاية يجد أن كل هذه الاختصاصات قد ألقيت على كاهله من جديد !!.. وعليه أن يتفرّغ لدراسة وحل مشاكل المموّلين مع مصلحة الضرائب..والنزاعات بين وزارة الداخلية ونقابات الصحفيّين والمحامين وغيرها .. وعليه أيضًا أن يحل مشاكل أصحاب المعاشات ويتوسّط لهم لدى وزارة التأمينات .. وأن ينظر بعين العطف إلى مشاكل المصريين المغتربين الذين تضيع حقوقهم ، وتهان كرامتهم فى ظل مظلة وزارة الهجرة ، ووزارة القوى العاملة .. كما يجب عليه بحث مشاكل الخرّيجين الذين مضى على تخرّجهم أكثر من عشر سنوات، دون أن يجدوا عملا يكفيهم شرّ البطالة وما يترتب عليها .. ويستحسن أن يتّسع صدر السيد رئيس الجمهورية ، ليسمع صرخات العاملين فى التربية والتعليم من " كرابيج " السيد وزير التربية والتعليم، التى تتوالى على رءوسهم بتلك القرارات المتعسّفة التى تبعد المعلمين عن التدريس ، وتنفيهم إلى المناطق النائية ، وبدون التحقيق الدقيق والعادل ، مما يؤدّى بهؤلاء المعلمين إلى كراهية العمل ، وقتل إحساسهم بالانتماء والولاء للمجتمع ، مما يجعلهم لقمة سائغة فى متناول المتطرّفين والإرهابيين !!.. وعلى السيد الرئيس أن يتفرّغ

ولو ليوم واحد من أيام الأسبوع ، ليبحث مناهج التعليم ويضع الخطوط العريضة لإصلاحها .. وأن يضع عليها حرّاسًا شدادًا ، حتى لا تتغيّر كلما ذهب وزير وجاء وزير !!..

وأعتقد أنه من الأنسب فى هذه الأحوال ، أن تسند مناصب جميع الوزراء والمحافظين إلى السيد رئيس الجمهورية ، إضافة إلى منصب رئاسة الجمهورية .. ليصبح المنصب الجديد للسيد الرئيس هو :

(رئيس الجمهورية ووزير الوزارات ومحافظ المحافظات) !!..

ونتمنّى أن يكون أول قرار لسيادته هو إزاحة جميع الوزراء والمحافظين عن مكاتبهم ، لإراحتهم من عناء الانتظار الطويل " لتوجيهات السيد الرئيس " !!..

أيها الوزراء والمحافظون .. ارحموا السيد رئيس الجمهورية .. ودعوه يتفرّغ للمهام الكبرى الملقاة على عاتقه .. ولا تشغلوه بصغائر الأمور.. وإذا لم تكونوا فاهمين لصلاحيات مناصبكم ، أو قادرين على اتخاذ القرار المناسب وفى الوقت المناسب ، دون انتظار لتوجيهات السيد الرئيس ، فتكرّموا بالرحيل ، واتركوا الكراسى لمن يقدّرون مسئولية الجلوس عليها !!.. واتقوا الله فيما ولاّكم من أمور العباد .. وقوموا بمسئولياتكم بمفهوم حديث الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم : [كلّكم راع وكل راع مسئول عن رعيّته] !!.. واعلموا أن الكراسى لا تستمر ، وأن الأعمار لا تدوم ولو دامت لغيركم ما وصلت لكم .. وسبحان من بيده الأمر وله الدوام !!..

[كُرْسِــى السُّـــلْطَــة] !!..

إلى كل صاحب سلطة ، وإلى كل من يجلس على كرسيّ الإدارة ، أو الوزارة ، ويأمر وينهى ، و" يشخط وينطر " وباسم مكافحة الإرهاب يصنع هو الإرهاب ، ويوقع الجزاءات على خلق الله دون رحمة أو شفقة .. وهو ينسى أن السلطان زائل ، وأن الكرسيّ راحل ، وأن صاحب السلطان سوف يصبح يوماً ما فرداً عادياً بلا سلطة ولا كرسيّ ، وأن من يعظّمونه اليوم قد لا يقيمون له وزناً غداً ، وأن من يبتسمون في وجهه ، قد يتجهّمون وراء ظهره ، وأن من يهتفون له الآن قد يلعنون أيامه بعد رحيله، وأن من يعزّونه اليوم في وفاة " كلبه" قد لا يعزّون أهله في وفاته !!.. وأقول له: لا تجعل السلطة تعمي بصيرتك .. ولا تجعل الكرسيّ ينسيك حقيقتك .. ولا تجعل دنياك تضيّع آخرتك وتذكّر دائماً أنك عبد من عباد الله ، لا تفاضل بينك وبين غيرك من الناس إلا بالتقوى والعمل الصالح ... واسمع العبر والعظات .. فيما يلي من الأبيات ، لعلك تفيق أيها الإنسان ، مما أنت فيه من النسيان ، وتصلح الحال قبل أن يفوت الأوان ، أو يسخر منك الزمان :

قـــوللى بتـــطمع ليـــه فـــى الكرسى **** ماســـكه ليـــه بايديـــك واسنانك ؟؟!!..
لو بتـــدوم للغيـــر يا صـــديقـــي ***** مـــش راح توصـــل يوم علشـــانك ..
ميـــن فـــى الدنيـــا خـــلّد فيـــها ***** قـــوللى ميـــن فـــى تاريخ أوطانك ؟!.
إوعـــى تـــفـــكّر إن الســـلطـــة ***** تـــفضـــل دايـــمًا زىّ حصـــانك !!..
إيـــه راح يـــفضـــل بعد الكرسى ***** غيـــر السّـــيرة وحســـن لســـانك ؟!..
نـــفســـى أقـــولك درس وعبـــرة ***** خـــلّى ف بـــالك وف وجـــدانك
دى الأيـــام ما فـــى أســـرع منها ***** واعـــرف يـــوم حـــيزول ســـلطانك
يـــوم ورا يـــوم العـــمر بيجـــري ****** ولا راح تـــاخـــد غير أكفانـــك
بعـــد نـــهـــاية الخدمة يا ســـيدي ****** يـــبـــقى دليـــلك أو برهانـــك
لّما تـــقـــابل بعـــض زمـــايـــلك ****** وتشـــوف مين حيّاك أو شـــانك !..

تــعــرف صـــورتك على حقيقتها ****** فـــي مــقـــابلاتــك مع خلانك
يـــبـــقى ســـاعتها تلقـــى سعادتك ****** فـــى ابتســـامات الناس علشانك
أمّـــا ان شـــفت وجوم فى عيونـــهم ****** يـــبـــقى الكرسى عماك أو خانـــك
يـــبـــقى ســـاعتها راح تـــتـــنـــدّم ****** لّمـــا تشـــيل وحـــدك أحزانـــك !!..
تلعـــن فى المنصـــب والكرســـى ****** علشـــان خدعـــك يـــوم أو خانك
لو كنـــت ف ســـلطانك صـــنته ****** كان بعـــد نـــهاية الخدمة صـــانك
خـــدها نصـــيحه من نـــاس قبلك ****** شـــيلها حـــلقه تـــمام فى ودانك..
مهمـــا اتـــغيـــّر شـــكل الكرسي ****** والا اتـــغيـــّر حـــتى مـــكانـــك ..
مهمـــا حـــتـــعـــلى خلى الصورة ****** حـــلوه تـــمللى ف عيـــن إخوانـــك..
واعمـــل خـــير على قد ماتـــقدر ****** واعـــطـــى النـــاس حبّك وحنانك
تـــلقـــى قـــلوب الناس تدعيلك ****** دعـــوه تـــزوّد فـــى اطمئنانـــك ..
كل مكـــان راح تـــلقى حبـــايبك ****** بابتســـاماتـــهم بيـــن أحضانـــك .
يـــبـــقى ســـاعتها تـــحمد ربّـــك ****** اللـــى عـــطـــاك الحكمة وزانـــك

أرفض أن أكون رئيساً للجمهورية !!..

كثير من الناس يتمنون أن يكونوا يوماً ما من أصحاب المناصب الرفيعة كالوزراء أو مديري المصالح المختلفة ، وبعضهم يحلم بأن يكون رئيساً للجمهورية !!..

ولو عرف هؤلاء الحالمون ما وراء هذه المناصب الرفيعة من المشاكل والهموم لما تمنوا أن يصبحوا يوماً من أصحابها !!.. فالأعباء التي يتحملها الوزير قد تكون أكبر من قدرته على حملها، وقد لا تساعده الإمكانات المتاحة على تحقيق الطموحات .. فتشغل باله الهموم.. وقد يلاحقه المظلومون بالشكايات .. وقد يعجز عن تلبية الأمنيات ، فينال غضب وكراهية المواطنين .. ويتولاه الخوف والقلق ، وقد يفاجأ بعد ذلك بقرار إقالته .. فيصاب بالهم والغم الأكبر .. ويندم على أنه أصبح يوماً وزيراً ..!!

أما منصب الحاكم ، كفانا الله شرّه .. سواء كان ملكاً أو أميراً أو رئيساً للجمهورية، فهو همّ أكبر ومسئولية أفدح وأمانة أقسى !!.. فهذا المنصب إما أن يكون مصدر خير وسعادة لصاحبه إذا ما وفقه الله لحسن الأداء ، وإما أن يكون مصدر شر وشقاء إذا لم ينعم الله على صاحبه بحسن الأداء !!..

هذا المنصب الرفيع له من السلطة ما يمكّن السلطان من نشر العدالة والرحمة بين الناس ، فيكتسب احترام وحب شعبه ورضاء ربه.. وتكتب له جنات النعيم .. ومن السلطة أيضاً ما يمكن أن يصبح سوطاً يلهب ظهور الأبرياء .. ويجعل صاحبه دكتاتوراً ، ينشر الظلم والاستبداد ، ويقصف رقاب الأبرياء ، ويغتصب الحقوق

وأرزاق العباد .. فينال سخط وكراهية شعبه وغضب ربه .. ويكتب له عذاب الجحيم ...!!

ولو قرأ الحكام التاريخ وتأملوا ما فيه ، ولو تذكّروا مصائر من سبقهم من الحكام العدول ومآلهم ، والحكام الظالمين وما نالهم .. لاستفادوا من هذه العظات والعبر ، وعرفوا أن المناصب لا تستمر ، والأعمار لا تدوم ، ولا خلود إلا للحيّ القيوم !!..

ولنتذكّر كيف كان مصير فرعون وقارون ، وهتلر ونيرون ، وباسمرك ونابليون ..!!

إن السلطة لها مسئولياتها التي يخشاها الذين يخافون الله ويرجون رحمته .. ويحبون رضاءه ويخشون غضبته .. ورضى الله تعالى عن عمر بن الخطاب الذى قال : والله لو أن شاة تعثّرت فى العراق ، لخشيت أن يسألنى الله عنها يوم القيامة : لِمَ لَمْ تمهد لها الطريق يا عمر ؟؟.. وهو الذى رآه عثمان بن عفان رضى الله عنه يهيم فى الصحراء الحارقة شمسها، فلما سأله عما يفعل ، قال عمر : أبحث عن ناقة ضلّت من نوق بيت المال . فقال له عثمان بن عفان : تعال واجلس في الظل ، ويمكننا إرسال من يبحث عنها . فقال عمر : ومن يجيرني يوم القيامة إذا ما سألني الله عنها ؟!.

هذه هي مسئولية الحكم والإحساس بها .. فأين لهذه المجتمعات المعاصرة أن تأتي بمثل عمر بن الخطاب الذي رفض أن تسند الخلافة لابنه من بعده ، وقال : بحسب آل عمر أن يُحاسَب واحد منهم على أمانة الخلافة !!.. ومن أين لهذا الزمان أن يحظى بحكم رجل مثل عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، خامس الخلفاء الراشدين ، الذى كان يحرص على مال المسلمين بمسئولية تفوق تصورات العقول .. فكان إذا تحدث مع أحد فى أمور الدولة ، أشعل شمعة من شموع بيت المال .. وإذا تطرّق الحديث إلى أمور

خاصة بعيدة عن أمور الدولة ، أسرع باطفاء شمعة بيت المال وأشعل غيرها من شموع بيته .. حتى لا يتحمّل مسئولية إضاءة شمعة من بيت المال في غير مكانها .

رضى الله عن العمرين وعن جميع السلف الصالح الذين أحجم معظمهم عن تولّي مناصب الخلافة والولاية ، حتى يرحموا أنفسهم يوم الحساب.. فالإنسان العادي مسئول يوم القيامة عن نفسه وعن من يعول .. أما الحاكم فهو مسئول عن جميع المحكومين .. وهو في حياته مُعَرّض لمؤامرات أعدائه والحاقدين والطامعين في الحكم .. وكم من حكام خلعتهم الانقلابات ، وأودت بحياتهم المؤامرات ، ولهذا فهم لا يطمئنون لقوم .. ولا يهنأ لهم نوم!!..

والحاكم في آخرته حسابه عسير ، ولا يدري إلى أين المصير .. فإما الجزاء والثواب.. وإما العقاب والعذاب !!..

ونحن كأفراد عاديين ننعم بما لا ينعم به الحكام .. فنحن نسير في الطريق بلا حرّاس يحرسون ، وننام هادئين بملء الجفون ..

ولهذا فإني لا أحسد الحكام .. بل أشفق عليهم .. ولا أعيش في الأحلام ، بتولّي مناصبهم .. فأنا بما أنا عليه ، أسعد حالاً منهم .. ولهذا بكل صدق وقناعة ، أحب أن أظل فرداً عادياً .. وأرفض أن أكون رئيساً للجمهورية !!..

تعظيم سلام .. للسيدة سوزان مبارك !!..



عندما أقول : تعظيم سلام .. للسيدة سوزان مبارك .. أرجو ألا يفهم القراءأنني أنافق أو أجامل .. وإنما أعبر عن إحساس صادق ينبع من اقتناع وجدانيّ وضميريّ من داخلي .. وأعتقد بأن هذا الإحساس يعكس نبض قلوب جميع المصريين .. بل وغير المصريين على مستوى العالم العربي أو العالم الأجنبي .. وكل الذين يعرفونني يثقون تماماً في صدق كلماتي ، ويعرفون أنني لا أنافق أحداً ، ولا أجامل أحداً، ولا أخشى في الحق لومة لائم .. لسبب بسيط ، وهو أنني أؤمن يقيناً بأن الحياة يهبها الله تعالى ، والموت حق ومكتوب في علم الله ، والروح بيد خالقها ، والرزق يمنحه الله تعالى مقسّم الأرزاق .

والدليل على أنني لا أنافق ولا أخشى أحداً في الله ، فإنني سأقول : إنني رغم احترامي العميق وإعجابي الشديد بما أدّاه ومازال يؤدّيه الرئيس محمد حسني مبارك من أعمال رائعة ، وإنجازات تاريخية على المستوى الداخلي والعربي والعالمي ، إلا أني أقول إنني مازلت أختلف مع السيد الرئيس في بعض الأمور .. وأقول ذلك وأنا مطمئن غاية الاطمئنان لإبداء رأيي بمنتهى الحرية ، وأدرك أن أحداً لن يجرؤ على منع نشر ما أكتبه ، فإن السيد الرئيس لم ولن يكسر قلماً ، ولم ولن يحجر على رأي حر .. وهاهي الكتب والمقالات المعارضة تنشر ما تريد ، دون أن تتعرّض لمصادرة أو اعتراض !!..

والأمور التي أختلف فيها مع السيد الرئيس ليس مجال ذكرها هنا ، لكي لا نبتعد عن موضوع هذا المقال .. وسأكتفي بذكر أمر واحد مما اختلف بشأنه مع السيد الرئيس لكي أثبت عدم نفاقي أو مجاملتي .. وهو أن السيد الرئيس بما أنه رئيس لكل المصريين ، كان يجب أن يتخلى عن رئاسة الحزب الوطني بمجرد تولّي سلطة الحكم ،

حتى لا يستند هذا الحزب الى إنتساب أعضائه الى زعامة الرئيس مبارك للحزب .. ولكي تتحقق المساواة بين جميع الأحزاب !!..

ونعود الآن الى موضوع المقال . وهو : تعظيم سلام .. للسيدة سوزان مبارك لقد استطاعت السيدة سوزان مبارك أن تقدم للمجتمع المصري من الإنجازات الاجتماعية ما لم يستطع أن يقدمه غيرها ،سواء كان من الوزراء أو المحافظين أو سيدات المجتمع .. وأنا لا أقصد الاستهانة بجهود غيرها من المصلحين والمصلحات ، ولكني أقول إن الظروف التي هيّأها الله تعالى لهذه السيدة الفاضلة من موقع هام ، بالإضافة إلى الروح العالية والاستجابة السريعة والإحساس المرهف بنبض المجتمع المصري واحتياجاته ، واستعدادها الخارق للتضحية بالوقت والجهد في سبيل تحقيق وإنجاح المشروعات الاجتماعية التي تنادي بها ، ومتابعتها الجادة والمستمرة لتطورات كل مشروع ، هذه المتابعة التي تفتقر إليها كثير من المشروعات ويفتقر إليها الكثيرون من المسئولين .. كل هذه العوامل التي تتمتع بها السيدة سوزان مبارك ساهمت بشكل فعّال ومؤثر في إحداث تغيير شامل وكبير في قطاعات عريضة في المجتمع المصري الذي ظلَّ ولفترة طويلة ، بعيداً عن أذهان الكثيرين من أولي الأمر في مصر !!..

ولو أردنا أن نتعرف على بعض النشاطات التي تتبناها السيدة سوزان مبارك ، والمشروعات التي خرجت إلى النور وأصبحت واقعاً يلمسه الشعب المصري ، بل والمجتمع الدولي الذي يتابع نشاطها بإعجاب وانبهار ، حتى كرّمتها بعض منظّمات الأمم المتحدة .. فسنجد أن هذه الأنشطة متعدّدة .. بحيث لا يصدّق عقل أن يقوم بها إنسان ، إلا إذا كان يتمتع بقدرة خارقة منحها الله له ، ورغبة قوية في إصلاح المجتمع .

وسأذكر بإيجاز ، وبقدر ما تسعفني الذاكرة بعض هذه الأنشطة والمجالات التي تشرف عليها السيدة سوزان مبارك . ولن أخوض في تفصيلاتها أو أهدافها أو ما

حققته هذه المشروعات من فوائد عظيمة للمجتمع المصري ، لأن كل ذلك معروف وملموس للجميع .

من هذه المشروعات : القراءة للجميع – رعاية الطفولة والأمومة – الهلال الأحمر -- التعليم بكل جوانبه ، بدءاً من المعلم إلى التلميذ إلى المباني إلى المناهج وتطويرها إلى التوسّع في بناء المدارس ، ومشروع المائة مدرسة الذي ترتب عليه بناء مئات المدارس – -المرأة المصرية والدفاع عن حقوقها ،– المعوّقون – إسكان الشباب – الأيتام والأطفال المشرّدون – تطوير المناطق العشوائية .. وغير ذلك من المشروعات الاجتماعية التي قد لا تسعفني الذاكرة بذكرها .. هذه المشروعات التي نستطيع أن نقول بكل صدق ، إنها غيّرت وما زالت تغيّر وجه المجتمع المصري ، وتذيب الجمود الذي ظلّ جاثماً على قسمات مجتمعنا لفترة طويلة !!..

وإزاء هذه الجهود الشاقّة والمضنية التي تبذلها السيدة سوزان مبارك ، يجدر بنا أن نقول لجميع الوزراء والمحافظين ، وسيدات المجتمع ورجال الأعمال ، والمسئولين على جميع المستويات : فلتشاركوا هذه السيدة الفاضلة سوزان مبارك ، ولتخفّفوا عنها .. ولتكن متابعتكم لهذه الإنجازات جادّة وفعّالة ومستمرة ، حتى تتحقق الأهداف المنشودة، ويقفز مجتمعنا لتحقيق طفرة هائلة على الطريق الصحيح .. ونحو مستقبل أفضل لشباب وأطفال وأسر هذا المجتمع .

ومرة أخرى أشهد الله أني ما قصدت نفاقاً ولا مجاملة على حساب الحق أو الواقع ، فأنا لست موظفاً يطمع في ترقية أو في علاوة، لأنّي من رجال التعليم السابقين الذين تركوا الخدمة وأحيلوا إلى المعاش.. وإنما أتحدث بمنطق الحكمة التي تقول : أنزلوا الناس منازلهم!!.. ولكي أنبّه كل من لديه أفكار اجتماعية إصلاحية أو إمكانيات مادية أو تنفيذية أو فكرية ، كي يدلي بدلوه في مسيرة الإصلاح الكبرى التي يمرّ بها مجتمعنا ، والتي تتقدّمها السيدة سوزان مبارك .. ولهذا فإني أدعوكم جميعاً لنقول معاً :

تعظيم سلام : للسيدة سوزان مبارك !!.

الحراسات الخاصّة ... لمن ؟؟!

شرطة الحراسات الخاصّة .. لابد أن هذه الإدارة من إدارات الشرطة قد أنشئت منذ سنوات غير بعيدة .. لأننا لم نكن نسمع عنها منذ سنوات طويلة .. وربما كانت موجودة ولم نسمع عنها لقلة العاملين فيها ، أو لدورها المحدود .. أما هذه الأيام فنحن نرى جيشًا من رجال الشرطة قد خصّص للحراسات الخاصّة ، ومعظمهم من الضباط الأكفاء والمتدربين على رياضات الجمباز والكاراتيه والجودو .. ويرتدون الملابس المدنية ، إضافة إلى هؤلاء الضباط والجنود من الأمن المركزى !! ..

وكثيرًا ما نرى هؤلاء الضباط فى مواكب الكبار التى تصيب المدينة بارتباك المرور تمامًا كما تصاب المعدة بعسر الهضم .. نرى هؤلاء الضباط فى ملابسهم المدنية الأنيقة . وهم يحملون الرشاشات التى تطل من نوافذ السيارات التى يركبونها فى مواكب الكبار .. ونتساءل " فى أنفسنا " ونحن نتلفّت يمينا ويسارًا حتى لا يسمعنا أحد ، أو يتصنّت على " أنفسنا " وهى تحدثنا .. ونقول : لماذا يخصّص هؤلاء العشرات من الضباط والجنود وعشرات السيارات والموتوسيكلات لحراسة فرد واحد ؟!.. مهما كانت مسئوليته ؟!.. وإذا كان هذا الفرد الذى تحيطه هذه الحراسات كلها ، عادلاً فى قراراته ، ومخلصًا فى أدائه ، مراعيًا لحرمات الله ، مؤدّيًا لواجبه بما يرضى الله تعالى ويريح ضميره ، وينشر الرحمة والمحبة بين العاملين معه ، ولا يكلّ ولا يملّ العمل على احترام حقوق العباد .. فلماذا يحتاج إلى كل هذا الكمّ الهائل من الحرّاس المدجّجين بالسلاح؟!.. ومن الذى يخشاه هذا الفرد من أبناء هذا الشعب الطيّب ، وهو واحد منهم .. سواء قبل تولّيه المنصب أو بعد تركه لهذا المنصب ؟!..

ألا يعلم كل مسئول أن الحراسات الخاصّة التى تحيط بموكبه مهما تضاعفت ، فلن تحول بينه وبين قدر الله تعالى إذا جاء ؟!.. ألم يقرأ قول الله تعالى : [أَيْنَمَا تَكُونوا

يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُم فِى بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ]؟!.." ٧٨- النساء " .. إذن .. فلا حراسات ستطيل الأمل ، ولا عدم الحراسة ستقرّب الأجل ، إنما الآجال محتومة ومكتوبة فى علم الله تعالى ، لا تهدّدها الوحدة ، ولا تحميها الحراسة !!..

إن العدل والرحمة والحب والإخلاص وتقوى الله تعالى هى أقوى الحرّاس ، وهى أشد جاذبيّة لرضاء الله ورضاء الناس .. ومن يتّصف بهذه الصفات يستطيع أن يسير بمفرده فى الطريق وهو آمن ، لا يخشى أحدًا من الناس .. لأن من خاف الله تعالى أخاف منه كل شىء ، ومن لم يخف الله ، أخافه الله من كل شىء .. وصدق الله تعالى إذ يقول : [إن الله يدافع عن الذين آمنوا].. " ٣٨- الحج " والرسول صلى الله عليه وسلم ، كان زعيمًا للأمة ، وقائدًا للجيش ، ومع ذلك كان يسير بمفرده إلى المسجد ، ويتجوّل فى الأسواق .. ورحم الله عمر بن الخطاب ورضى عنه ، فقد كان يجوب الطرقات وحده يتفقد أحوال الرعيّة ، ويتحسّس حاجات الناس ، حتى يطمئن على رعيته .. ولعلنا قرأنا عن قصة الرجل الذى جاء يسأل عن مكان عمر بن الخطاب " أمير المؤمنين " فى ذلك الوقت ، ولما دلّوه على مكانه وجده الرجل نائمًا تحت ظل شجرة فى الخلاء ، يضع رأسه على ذراعه ويفترش الأرض، فنظر إليه الرجل وقال قولته الشهيرة : (حكمت فعدلت فأمنت فنمت ياعمر) !!..

ومنذ سنوات قليلة رأينا السيد اللواء أحمد رشدى ، الذى كان وزيرًا للداخلية بعد استقالته من منصبه ، يرفض الحراسة الخاصّة .. ويسير فى الطريق بمفرده .. ويقابله المواطنون ويبتسمون له ، ويحيّونه.. لماذا ؟!.. لأنه أدّى دوره فى نزاهة وعدل ، فلم يضطهد أحدًا ، ولم يظلم فردًا .. فأحبه الله ، وزرع له المحبة والاحترام فى قلوب الناس!!..

ونحن لا نعترض ، بل نؤيّد ونؤكّد ضرورة الحراسة ، بل والحراسة المشدّدة لموكب السيد رئيس الجمهورية ، لا نفاقًا ولا خوفًا ، ولكن نظرًا للأهمية القصوى لمنصبه ، ودوره البارز فى قضايا الوطن الخارجية والداخلية ، ولأنه يمكن أن يكون هدفًا لاعتداء يدبّره أعداء الوطن . أما الوزراء والمحافظون .. فإننى لا أرى مبرّرًا لمواكب الحراسة التى تحيط بهم فى الذهاب والإياب .. بل إننى أطالب برفع هذه الحراسة أثناء الخدمة ، وبصفة خاصّة ، بعد تركها .. لأنه إذا علم المسئول أنه لن يكون فى حراسة بعد ترك المنصب ، لكان ذلك مشجّعًا له على إحسانه لأداء مهام منصبه ، وإظهار الولاء للجماهير الذين سيسير بينهم يومًا ما بعد ترك المنصب .. فلا يخشى منهم شيئًا ..



ولنا أمثلة كثيرة لبعض الشخصيات الهامة التى تولّت مناصب رفيعة وحظيت بحب الناس واحترامهم .. من أمثال الدكتور مصطفى كمال حلمى ، رئيس مجلس الشورى ، ورئيس المجلس الأعلى للصحافة ، ونقيب المعلمين .. فلو رأيتموه بين أبنائه من قيادات العمل النقابى ، وهو يمرّ عليهم فردًا فردًا ، فى مجالسهم " على كثرتهم " ليصافحهم يدًا بيد ، ومنهم من يقبّلونه ويحتضنونه ، ويشعرون نحوه بكل الحب والإجلال والاحترام .. وابتسامته على وجهه لا تفارقه ، وتواضعه الكبير يعلّم الجميع كيف يتربّع الإنسان فى قلوب الناس ، ويجبرهم على احترامه .. مثل هذا الرجل .. لو ترك كل هذه المناصب.. وسار يومًا بمفرده فى الطريق ، فإننا لا نخشى عليه اعتداء الناس بقدر ما نخشى فرط حبهم ، وازدحامهم حوله لتقبيله واحتضانه !!.. وإنى لأدعو كل الوزراء والمحافظين ورؤساء

المصالح الهامة أن يتعلّموا من هذا الرجل العملاق ، كيف تؤسر القلوب !!..وكيف يحصل الإنسان على أعظم سعادة فى الوجود .. سعادة حب الله .. وحب الناس !!..

لماذا لا يحاول كل وزير ، وكل محافظ أن يحصل على حب الناس ويكسب احترامهم ، فلا يحتاج إلى حراسة أثناء المنصب ولا بعده ؟؟!!..

إن هذه الحراسات الخاصّة التى تحيط بالمسئولين هى فى حقيقتها نوع من أنواع السجون التى تعزل الإنسان عن المجتمع ، وتقيّد حرّيته فى التنقل بين الناس .. فمتى تلغى هذه السجون المسمّاة بالحراسات الخاصّة ؟؟!!..

والسؤال الملحّ ، والذى يجب أن نطرحه هو ..لمن يجب أن تكون هذه الحراسات الخاصّة ؟

أوّلا :لرئاسة الجمهورية ، كما قلت من قبل ، نظرًا لحساسية المنصب وأهميته البالغة ..

ثانيًا : لجميع السفارات ومنازل السفراء ، حماية لهم باعتبارهم ضيوفًا مقيمين فى بلادنا.. وحمايتهم واجبة لهم ..

ثالثاً : للسيّاح الزائرين الذين جاءوا إلى بلدنا للوقوف على عظمة آثار أجدادنا وحضارتنا العريقة .. وأصالة شعبنا ، وحسن الضيافة والشهامة المعروفة عن مجتمعنا تستوجب أن نوفر الحماية اللازمة لهؤلاء السيّاح والزائرين .. حتى يكونوا فى بلادهم مرآة صدق لما نحن عليه من كرم الخلق وسموّ القيم ..

رابعًا : المؤسسات الاقتصادية الهامة كالبنوك والشركات والمحلات التجارية ، ووسائل المواصلات بأنواعها ومحطاتها .

خامسًا : جميع المنشآت العسكرية التى تستوجب الحراسة بالدرجة الأولى .

سادسًا : جميع المبانى الحكومية ومقرّات الأحزاب والنقابات ودور الصحف ووسائل الإعلام ، والفنادق .. والمتاحف والآثار ..

سابعًا : الشارع المصرى الذى يكاد يخلو من الأمن حتى أصبحت الجرائم ترتكب كل يوم ، وفى وضح النهار ، وأمام أعين المواطنين الذين لا يجرؤون على التدخل خوفًا من

الاعتداء ، حتى أصبحت اللامبالاة هى السّمة الغالبة على معظم الناس ، مما أجبر الشهامة والنخوة على أن تأخذ إجازة مرضيّة وإلى أجل غير مسمّى !!.... الشارع المصرى .. الذى كان بالأمس البعيد هادئا وآمنـــًا.. يسير المواطن فيه ليلا وهو يغنّى.. حيث كان " عسكرى الدّرك " رحمه الله ، يجوب الجزء المخصّص له من الشارع ، يتفقد المارّة ويتفحّصهم ، وقد يوقف بعضهم ليتأكّد من شخصياتهم ، ويطمئن على عدم خطورتهم على الأمن .. كما كان يصيح صيحته المعروفة التى يتذكرها أمثالى من كبار السن ، الذين عاصروا تلك الفترة الآمنة..تلك الصيحة من " عسكرى الدرك " التى كانت تحذّر اللصوص وتخيفهم ، وتطمئن الأهالى وتريحهم .. ذلك الرجل البسيط الذى كان يؤدّى واجبه فى تفان وإخلاص وإحساس بالمسئولية ، فكانت عينه يقظة على الطريق ، وكانت يده تتحسس أقفال المحلات ، حتى إذا وجد أحد الأقفال مفتوحًا ، ركـــّز حراسته على المحل حتى الصباح ..

الشارع المصرى الذى أصبح اليوم بلا حراسة على الإطلاق إلا إذا كان يسكنه مسئول كبير ، أمّا الشارع الذى لا يحظى بتواجد المسئول الكبير ، فقد أصبح مسرحًا ومرتعًا حرًا للصوص السيارات والمحلات ، ويتعرّض فيه الأبرياء للاعتداءات .. وأصبح المواطنون حتى فى بيوتهم لا يطمئنون على حياتهم وأعراضهم ، خوفـــًا ممن يسطون على البيوت ، لسرقة الأموال والمقتنيات ، ولاغتصاب السيدات والفتيات ، ولا مانع من ارتكاب بعض الاغتيالات .

الشارع المصرى الذى أصبح منكوبًا بانتشار المتسكعين والمستهترين من بعض العاطلين والفاشلين من الشباب .. الذين يتخذون من سيارات الناس " مصاطب " ومقاعد لهم ، للعب الورق ، وتعاطى أو ترويج المخدرات ، وترديد النكات والضحكات التى تقلق النيام ، والعبارات التى تخدش الحياء ..ولو كان هناك " عسكرى الدرك " لما كان هذا الاستهتار ، ولا سمعنا ولا قرأنا عن هذه الجرائم التى يشيب لها الولدان .. والتى تتكرّر كل يوم بلا مبالاة لقانون ولا مراعاة لدين ، ولا

تأثرًا بحياء .. ما دام القانون يتيمًا لا يجد من يحميه .. ولا من يفرض احترامه على المجرمين !!..

لو ألغينا الحراسات الخاصّة .. إلا على الفئات التى حدّدناها ، وخصّصنا هذه الأعداد الضخمة من شرطة الحراسة لحراسة الشارع المصرى ، والبيت المصرى ، والأسرة المصرية ، والمواطن المصرى ، لتوفرت عناصر الأمن والأمان ، ولعادت الطمأنينة إلى النفوس .. فلا يقلق النائم فى بيته على سيارته أو تجارته .. ولا يخاف مسافر مغترب على أفراد أسرته .. ويطمئن كل والد على عرضه ، ولا يخشى على زوجته أو ابنته !!..

يا أولياء الأمور فى هذا البلد.. يا أيها المسئولون الغيورون على الأعراض .. المهتمون بسمعة بلادنا أمام الضيوف والأغراب .. أعراض المواطنين وأموالهم وممتلكاتهم وأبناؤهم أمانة فى أعناقكم .. وشبابنا الذين نبنى أحلام مستقبلنا على سواعدهم وعقولهم ، مهدّدون بالضَّياع والوقوع فريسة لأقطاب الإرهاب وتجار المخدرات .. وأنتم عنهم أمام الله مسئولون .. يا من يهمهم الأمر .. أعيدوا النظر فى مهام الحراسات الخاصّة .. ووجّهوها إلى حماية المواطنين .. ولا تجعلوا بعض آذانكم من طين .. والبعض الآخر من عجين !!!...

[وضاعت السيارة] !!..

بالأمس خُضْتُ تجربة .. كنت فيها على مَقْرُبَة ..
من رجال الأمن والأمان .. في هذا العصر والأوان ..
خرجت منها بانطباع .. وحسّ حَمَلٍ مع الضِّباع ..
رُحْتُ أُبلّغُ عن سَرِقَة .. فاجتمعت حولي فرقة ..
وصاروا جميعًا يسألون .. ولأقوالي يكتبون ..
ماذا سرقوا منك ؟؟.. أبْعد القلق عنك ..
قلت سرقوا سيّارتي .. وأقلقوا راحتي !!..
قالوا مَن الذى سرقها ؟؟.. وهل باعها أم رَكِبَها ؟؟..
ألف سؤال وسؤال .. مِمَّا يخطرُ على البَال !!..
في خلال هذا التحقيق .. وهذا التَّحَرِّي الدّقيق !!..
ورفعوا في الحال السمّاعات .. وأكثروا من المكالمات
وقالوا جميعًا : اطمئنّ .. لا تحزن ولا تَئِنّ !!..
قلت لنفسي مؤكِّدًا.. وبكل ثقة مُحَدِّدًا ..
فالسيارة لابُدَّ ستعود .. فهؤلاء رجالٌ أُسُود !!..
إنهم يُقَدِّرون حالي .. ولِلْكلام اطمأن بالي ..
وأقسموا بِرَبِّ الخَلِيقَة .. ستعود السيارة المسروقة ..
ورُحْتُ أُهَدِّئُ نفسي .. وَأُبَدِّلُ حُزْني ويَأْسي ..
ولَمَّا سألْتُ بعد أسبوع .. قالوا : ما هو الموضوع ؟؟!!..
رُحْتُ أَشْرَحُ من جَديد .. وأُعَبِّرُ بألمٍ شديد ..
كل ذلك وهم يسمعون .. وللمعلومات يجمعون !!..
ووعدوا وعْدًا قاطعًا .. وكنت بأُذُنَيَّ سامِعًا ..
لا تَشْغَلَنَّ بَالَك .. فنحن نُقَدِّرُ حَالَك !!..
قلْتُ : بَارك الله فيكم .. وبِالخَيْرِ سوف يَجْزيكم ..

وبعد شهرٍ أرْسَلوا فى طَلبى .. لمقابلة الرّائد شَلبى ..
قُمْتُ على الفَوْرِ مُتَعجِّلاً .. مسْرُورًا مُكبِّرًا ومُهلِّلاً !!..
قُلْتُ : جاءت السيَّارة .. عاشتِ الشُّرْطَةْ والإدارة !!..
إنَّهُم لراحتنا يَتْعَبون .. ولحراستنا يسْهَرُون !!..
ولمّا دَخَلْتُ عَلى الرَّائد .. حَيَّيْتُهُ تَحيَّةَ القائد !!..
وقلتُ له : أنتم رِجالُها .. بكُم تسْعَدُ الأُمَّةُ ويَرُوقُ بالُها ..
وسألتُهُ : أين سَيَّارَتى ؟؟..ولكنَّ دَهْشَتَهُ أثارتْ حَيْرَتى !!..
فقَالَ : لَقَدْ أرْسَلْنا إلَيْك .. لنراكَ وَنُسلِّمَ علَيْك ..
وَنسْألَ : هَلْ جاءَتْكَ أخْبَار .. عن الْعُصْفُورِ الذى طَار ؟؟!!..
قُلْتُ : أتَسْألُونى أنا .. بَعْدَ كُلِّ هَذا الضَّنَى ؟؟!!..
لَقَدْ كَنْتُ أعْتَمْدُ عَلَيْكُم .. لا أن أتَلقَّى السُّؤَالَ منكم !!..
فَإذَا أنْتُم إيَّاىَ تسْألُون .. وعَنِ السَّيارة تَسْتَفْسِرون !!..
قَالَ : مَازَالَ الْبَحْثُ جَارِيًا .. بَحْثًا دَقيقًا وَمُتأنِّيًا ..
لِلقَبْضِ عَلَى السَّارِقِ مَتلبِّسًا .. وهو يَقُودُها مُتَوجِّسًا ..
قُلْتُ : لا يُهِمُّنِى تَلَبُّسُهُ .. ولا يَنْفَعُنِى تَوجُّسُهُ !!..
إذ الْمُهِمُّ عِنْدى أنْ تَعُود .. وأنْ تَفُوا بِهَذه الْوُعُود !!..
قَالَ : كُنْ وَاعِيًا لِمَا تَقُول .. فَأنتَ مَعَنَا جِدّ مَسْئُول ..
قُلْتُ : عَلَى رِسْلكَ يَا هَذَا .. فَأَنَا مَسْئُولٌ عَنْ مَاذَا ؟!..
قَالَ : مَسْئُولٌ عَنْ سَيَّارَتك .. التى أضَعْتَهَا بِغَبَاوَتِك !!..
قُلْتُ كَيْفَ تَهِينُنى ؟؟!!.. وقَدْ ظَنَنْتُكَ تُعينُنى ؟؟!!..
قَالَ : انْتَبهْ لِحَديثكَ يَا سَيِّد .. واسْتَبْدِلْه بكلامٍ جَيِّد ..
مَهْمَا تَقُلْ مِنْ كَلاَم .. فَأنْتَ الْوَحِيدُ الْمُلاَم !!..
كَيْفَ تَتْرُكُ السَّيارة ؟؟.. تَجْذبُ عُيُونَ الْمَارَّة ؟؟!!..
إذْ كَانَ الْواجِبُ عَلَيْك .. والنَّصِيحَةُ مِنَّا إلَيْك ..

إنْ كُنْتَ دَاخِلاً مَنْزِلاً .. فَكُنْ لْلسَّيارَةِ حَامِلاً !!..
لِتَأْمَنَ شَرَّ اللُّصُوص .. فَالْقَانُون مُجَرَّدْ نُصُوص ..
فَلْتَبْحَثْ أَنْتَ بِنَفْسِك .. مَسْتَخْدِمًا لِذَكَائِكَ وَحِسِّك !!..
أَبَعْدَ الْبَحْثِ وَاللَّفّ .. وَمُرُورِ عَامٍ وَنِصْف ؟؟!!..
يَضِيعُ هَكَذَا الأَمَل .. دُونَمَا جَهْدٍ أَوْ عَمَل ؟؟!!..
فَعَلَى الله يَكُونُ الْعِوَض .. فَالْخَيْرُ مَاتَ وَانْقَرَض !!..
وَخَرَجْتُ كَاسِفَ الْبَال .. سَيِّئَ النَّفْسِ وَالْحَال !!..
تَعَلَّمْتُ دَرْسًا نَافِعًا .. وَكَانَ حَقًّا رَادِعًا !!..
خُلاَصَةُ الدَّرْسِ الْمُفِيد .. نَعِيشُ بِمَفْهُومٍ جَدِيد ..
إنْ كُنْتَ تَنْشُدُ الأَمَان .. فَلْتَهْجُرْ هَذَا الْمَكَان ..
فَفِيهِ لَعْنَةُ الْفَرَاعِنَة .. خَاصَّةً فِي هَذِهِ الآوُنَة !!..
الشَّرِيفُ فِيهِ ضَعِيف .. وَاللِّصُّ فِيهِ شَرِيف !!..
أَصْبَحْنَا نَخْشَى الطَّرِيق .. فَالْمُجْرِمُ حُرٌّ طَلِيق ..
إذَا شَكَوْتَ إِلَى مَسْئَول .. فَلا مَعْنَى لِمَا تَقُول !!..
فَاحْفَظِ الدَّرْسَ وَمَعْنَاه .. وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلاَّ بِالله !!!.

بيب .. بيب .. والتخلف الغريب

لا أدرى كيف يفكّر الناس في مجتمعنا هذا .. وخاصّة الشباب !!..

لقد أصبح الضجيج والصخب والضوضاء سمة من سمات هذا المجتمع ، فأينما تسير تسمع الضوضاء في كل مكان ، في الشوارع والميادين وفي الأسواق ، وفي البيوت ، وحتى في المدارس والمساجد ، حتى أصيب عدد كبير من الناس بضعف في السمع ، وأصبح شيئـًا مألوفـًا أن ترى عددًا من الأشخاص يضعون سماعات لتقوية السمع في آذانهم .. وللأسف بدأ ينتقل هذا الأمر إلى عدد من الشباب ، وكثير من الأطفال أيضـًا!!..

والسبب في انتشار هذه الظاهرة الجديدة .. وهي استعمال هذه السماعات .. هو الضوضاء التي انتشرت وتجاوزت كل الحدود ..

ففي الطريق تجد سائق أوتوبيس أو سيارة نقل أو ميكروباص أو حتى سيارة خاصّة ، يصدر صوت الكلاكس " بلا مبرّر .. وعلى فترات متلاحقة ليس بينها فاصل زمني يزيد على ربع أو نصف دقيقة .. وإذا نظرنا أمام هذه السيارة المزعجة لنرى ماذا يعوقها حتى تطلق هذه " الكلاكسات " المتواصلة ، لم نجد شيئـًا يبرّر إطلاق هذه الأصوات ، إذن .. هي عادة سيئة ، أو هواية بغيضة اعتاد عليها هؤلاء المتخلفون في الفكر والإحساس !!..

وإذا وقفت بسيارتك في إشارة مرور ، وكانت حركة المرور كثيفة (وهذا يحدث كثيرًا) وإذا طال الانتظار في الإشارة بعض الوقت نتيجة لكثافة المرور ، خاصّة في أوقات الذّروة ، فإنك تسمع مظاهرات الاحتجاج من معظم سائقي السيارات ، وليس بأصواتهم

ولكن بإطلاق أصوات " الكلاكسات " التي تصمّ الآذان ، وتصيب الرءوس بالصّداع ، وتساهم في انتشار ظاهرة ضعف الأسماع !!..وإذا ركبت تاكسيًا أو سيارة ميكروباص ، فإنك تسمع " رغم أنفك " تلك الأغاني الهابطة التي لا تحمل معنىً مفيدًا ، ولا لحنـًا مريحًا .. والتي يصدرها صوت كاسيت السيارة ، وبصوت عال يؤذى الأسماع..

وأشكال هذه الفئة من الناس ومظهرهم وألفاظهم السوقية ترغمك على السكوت والاستسلام ، حتى تصل إلى بيتك أو عملك بسلام!!.. وإذا ساقك حظك العاثر إلى منطقة مثل ميدان العتبة أو ما حوله ، لتركب الأوتوبيس من بداية الخط لعلك توفق في إيجاد مقعد يكفيك شرّ الزحام ، فإنك تسمع الأصوات الصّاخبة بدرجة بشعة من أصوات المسجّلات التي تذيع الشرائط الهابطة على عربات اليد .. وإن أشدّ ما يدهش أن تسمع مثل ذلك من بعض الركاب ممن يحملون أجهزة الكاسيت، دون مراعاة لمشاعر بقية الركاب أو أذواقهم !!..

وأثناء رحلة العذاب اليومية المزدوجة من البيت إلى العمل ، ومن العمل إلى البيت ، تقتحم أذنيك " ودون استئذان " أصوات " فرقعة " الموتوسيكلات المزعجة ، وكذلك أصوات " الشكمانات " التالفة التي تعبّر عن استهتار أصحابها أو " فلسهم " وعدم مبالاتهم !!..

أمّا عن الباعة الجائلين الذين اتخذوا من الأوتوبيسات أسواقـًا رائجة لهم .. فهم يتكرّمون بإسماعك بأصواتهم المنكرة والعالية ، إعلانًا عن محتويات الصناديق التي يحملونها من (دبابيس وأستك وعلب ورنيش وإبر خياطة وبنسات الشعر والأمشاط والفلايات) ثم يطلقون بعض العبارات " المأثورة " التي يتوارثها الباعة مثل ☹ زىّ زمان ولا الحْوْجَة للجيران ولا هاتى إبرة يامّ فلان ، دستة إبر بربع جنيه) .. وبائع آخر ، يأتى بصندوقه ويخرج منه كمية من " بواكى البسكوت أو الشيكولاتة " والتي يعلم الله وحده أين ومتى وكيف صنعت .. ويمرّ البائع على جميع الركاب ، ويترك

عيّنة من بضاعته على " فخذ " كل راكب .. ثم يبدأ الإعلان عن بضاعته، وكأنه يعلن عن " أوكازيون " نادر .. ويقول أوّلاً : (اتنين باكو بجنيه) .. وبعد قليل يقول : عليَ الطلاق لازم أرأف بحالكم .. ياللا ..أربعة باكو بجنيه)، ثم يقول : (إنتم مالكم مبوّزين كده ليه ؟!.. إنتو لسّه ما قبضتوش ، واللا الماهيّة اتلطشت ، واللا خلصت قبل نص الشهر ، زيّ كل مرّة ؟! .. على أيّ حال .. ولا يهمّكم !!.. علشان العيال الغلابة اللى عندكم .. حقول : ستة باكو بجنيه .. ياللا .. خلّوا العيال تاكل وتنبسط ..) ، ويظل البائع هكذا بصوته المزعج حتى يقول في النهاية : (إيه الحكاية ؟!.. إنتو مفلّسين خالص ؟! .. أقول لكم .. هي الحكاية خسرانة خسرانة .. آخر كلام .. عشر بواكي بجنيه .. بعد كده أنا حانزل وذنبكم على جنبكم .. خلّوا ولادكم تكشّر في وشّكم) !!. ويسارع بعض الركاب لشراء هذه البواكى لأولادهم ، وهم لا يعلمون مدى صلاحيتها للاستعمال الآدمى .. ولكن على أى حال .. إنها وسيلة لإسعاد الأولاد ، ولا تحدث زلزالاً في ميزانيات العباد.. ويظل هذا السوق المتنقل والمزعج حتى يهوّن الله الأمر ، وتقترب محطة نزولك التي يجب أن تستعدّ لها وقبلها بثلاث محطات على الأقل ، وإلا فلن تستطيع اختراق هذه الكتل البشرية ، وتنزل إلى محطتك إلا بعد محطتين أو ثلاثة ..

ولا يقتصر الإزعاج على هذه المجالات فقط .. فهناك أيضًا مناسبات الأفراح ، والليالى الملاح !! التي تساهم أيضًا في هذا البلاء ..فموكب العروسين تصحبه الموتوسيكلات والسيارات العديدة ، وكلها تطلق الزغاريد .. زغاريد النساء وزغاريد الموتوسيكلات والسيارات ، التي تقول : بيب بيب .. بيب بيب .. وتدور هذه المواكب في شوارع المدينة ، معطلة للمرور ، ومثيرة للنفور ، ومو غلة للصدور .. وإذا اعترض عاقل على هذه الظاهرة الفوضوية ، سمع من يقول له : " يا عمّ خلّيهم يفرحوا يومين قبل ما يركبهم الهمّ .. وعقبال عندك !! "

ومن مصادر الإزعاج أيضًا.. أصوات الميكروفونات التي لا تتوقف طوال اليوم .. حتى بائع " الرّوبابيكيا " الذى يجوب الأحياء كل يوم ، يحمل ميكروفونـًا ويعلن فيه عن استعداده لشراء كل ما هو قديم .. وربما يسير بعده موزّع أنابيب البوتاجاز الذى يضرب بالمفتاح الحديدى على الأنابيب حتى يسمعه الناس ، ويعرّفهم بوصوله .. وطبعًا يسمعه بوضوح الذين يقيمون بالدور العاشر ، فما بالكم بمن يقيمون بالأدوار الأولى ؟؟!!..

والميكروفونات في المساجد التي تذيع الأذان خمس مرّات في اليوم !!.. ومن الطبيعى أنه لا اعتراض على إذاعة الأذان ، لأنه دعوة إلى إقامة ركن من أهم أركان الإسلام ، ودعوة للفلاح .. نتمنى أن يوفقنا الله تعالى إلى تلبيتها دائمًا .. ولكن الاعتراض على الطريقة التي يتم بها إذاعة الأذان .. إذ يجب أن يكون هادئا ، ومسمعًا لا مزعجًا ويجب أن يكون صوت المؤذّن حسنًا .. ترتاح الآذان لسماعه خاصّة وأن المساجد كثرت وتعدّدت في كل حيّ.. وكلها تعلن الأذان في الميكروفونات .. وليس من الرحمة أو العدل أن نسمع جميع ميكروفونات الحيّ في وقت واحد وبالأصوات العالية والمختلطة.. بل لابد أن يصل الأذان إلى أسماعنا بأسلوب مريح للقلوب ، وشارح للصدور .. فكلمة " الله أكبر " كلمة عظيمة يجب أن نسمعها ونعيها، وعبارة " لا إله إلا الله ، محمد رسول الله " هي أعظم كلام يذكر على الإطلاق .. ونحب أن نسمعها دائمًا .. ولكن بطريقة مقبولة ، وبأصوات معقولة .. حتى نردّدها مع المؤذّن ، ونعيش في معانيها .. ولنتذكّر رسولنا الحبيب محمدًا صلى الله عليه وسلم ، عندما كان يقول لبلال : " أرحنا بها يا بلال " ونحن نقول لكل مؤذّن : أرحنا بها ولا تزعجنا !!..

وهناك السرادقات التي تقام في المآتم ، والتي تعتبر من أكبر مصادر الإزعاج ، حيث يستعرض فيها قرّاء القرآن الكريم ، إمكانياتهم الصوتية والموسيقية وإجادتهم لطرق التجويد والقراءات المختلفة .. وبعض القرّاء يتعمّدون قراءة الآية الواحدة بعدّة قراءات مختلفة ، لا يعرف معظم السّامعين لها إلا طريقة واحدة منها هي طريقة "حفص

".. وبذلك تتوه أفكار السامعين في هذه القراءات المختلفة وأسبابها والحكمة منها .. وبذلك ينصرفون عن التفكير في معانى الآيات التي تتلى .. ولا يهمّ القارئ إلا أن يقال عنه : إنه يقرأ بالقراءات .. ويهتم كل قارئ بأن يكون صوت الميكروفون عاليًا حتى يسمعه أهل الحيّ كله .. غير مراع للمرضى أو الطلاب الذين يستذكرون دروسهم .. إن كل بيت لا يخلو من المصاحف ، وشرائط الكاسيت لكثير من القرّاء ، وكذلك أجهزة الراديو والتليفزيون التي تغذّينا وتجعلنا نمعن التفكير في المعانى الجليلة لآيات الله البيّنات .. وتغنينا عن أصوات هذه السرادقات التي لا تهدف إلى خير بقدر ما تهدف إلى المظاهر الكاذبة التي لا سند لها في الإسلام ، والتي لم تعد تناسب الظروف الاجتماعية والاقتصادية في هذه الأيام .. والتي لا تفيد الأموات ولا ترحم الأحياء!!..

وليعلم كل هؤلاء المزعجين أن الضوضاء تسبب خطرًا شديدًا على الصحة العامة للأبدان ، وتؤثر تأثيرًا سيئـًا على شبكية العين ، كما أثبت العلم أن الضوضاء هي السبب المباشر لضعف السمع ، كما أنها تؤدّى إلى ضرر بالغ بالقلب .. ولهذا فنحن نجد أهل الريف والصحراء أقوى من أهل المدن في قوة السّمع والبصر والقلب ، لأنهم يعيشون بعيدًا عن الضوضاء .

ولهذا فإنى أقول لكل من يسبّب الضوضاء والصخب والإزعاج .. ارحموا من في الأرض يا عباد الله .. يرحمكم من في السماء!!..

ونسأل الله تعالى أن يرحمنا ، ويخلصنا من عادة ..بيب بيب .. والتخلف الغريب .

مصر هبة النيل .. أم ضحية النيل ؟!..


د . نادية مكرم عبيد

جاء في جريدة الأخبار بتاريخ ٢٦-١٠-١٩٩٧ تحت عنوان " افتتاح الشبكة القومية لرصد ملوثات الهواء غداً " ما يلي :

" تفتتح نادية مكرم عبيد وزيرة الدولة لشئون البيئة غداً ، الشبكة القومية لرصد ملوثات الهواء ، وذلك بمعهد التبين للدراسات المعدنية . أكدت الوزيرة أن الشبكة إضافة بيئية هامة لأنها تضم ٤٠ محطة للرصد المستمر في المناطق الصناعية والحضرية بالإضافة إلى منطقة " مرجعية " وتتوزع هذه المحطات في ١٨ محافظة ، وقالت الوزيرة إن بعض المحطات مزودة بمحطات للأرصاد الجوية لقياس سرعة واتجاه الريح ، ودرجة الحرارة والرطوبة ، وإن هذه الشبكة من أحدث ما وصلت إليه التكنولوجيا العالمية لقياس ملوثات الهواء المختلفة ، وتمت إقامتها بالتعاون مع الحكومة الدانمركية بتكاليف تصل إلى ٥٠ مليون جنيه في إطار مشروع المعلومات والرصد البيئي وأضافت الوزيرة أن وزارة البيئة تقوم بالإشراف على تشغيل الشبكة بالتعاون مع الجهات الحكومية المعنية ، وسيقوم مركز المعلومات بالوزارة بتوفير المعلومات عن كمية الملوثات التي يتعرض لها المواطن . " .

وتعليقاً على ما نشر ، أقول للسيدة الوزيرة : إذا كانت تكاليف التعاون مع الحكومة الدانمركية في إطار مشروع المعلومات والرصد البيئي وصلت إلى ٥٠ مليون جنيه ، وقبل ذلك قرأنا عن الملايين العديدة التي رصدت لعلاج مشكلة تلوث البيئة .. كما سمعنا أن مصر حصلت على منحة من الولايات المتحدة الأمريكية قدرها ٣٣

مليون جنيه لمكافحة التلوث ، فكم من الملايين إذن قد خصصت لهذا الشأن .. أي لحماية البيئة من التلوث ؟!.. وما هي النتيجة التي وصلنا إليها ؟!..

ألا تدري السيدة الوزيرة أن نسبة كبيرة من التلوث في مصر ترجع إلى " عادم " السيارات ، وخاصة تلك التي تدار بالسولار ؟!.. ألم تسمع عن تقرير منظمة الصحة العالمية الذي يقول : إن أعلى نسبة تلوث في العالم توجد في ميدان رمسيس بالقاهرة ، وأن أقذر بقعة تنتشر فيها الأمراض الوبائية هي منطقة " بولاق الدكرور " ؟!..

ألم تر السيدة الوزيرة لون ورائحة العادم الذي تطلقه أوتوبيسات هيئة النقل الحكومية ؟!.. طبعاً السيدة الوزيرة تعرف ذلك جيداً .. إلا إذا كانت تستخدم في تنقلاتها " الهليوكوبتر " بدلاً من السيارات !!..

لقد قرأنا كثيراً من تصريحات السيد وزير البترول عن عدد المحطات التي تنشأ بين الحين والآخر لتحويل السيارات وتموينها بالغاز الطبيعي لتعمل بنظام الدورة المزدوجة " بنزين / غاز " ، وسمعنا أن تكاليف تحويل السيارة لتعمل بالغاز الطبيعي تبلغ خمسة آلاف جنيه ، ورغم أن جميع من يقودون السيارات يتمنون أن يحولوا سياراتهم لتعمل بالغاز الطبيعي ، إلا أن عدد السيارات التي تم تحويلها حتى شهر أكتوبر سنة ١٩٩٧ لم يتجاوز ٣٥٠٠ سيارة في القاهرة والإسكندرية وبقية الأقاليم !!.. ومعنى ذلك أن عدداً كبيراً من المواطنين يرون أن تكاليف تحويل السيارة أكبر من قدراتهم ، رغم رغبتهم الأكيدة في تحويل سياراتهم لتعمل بالغاز الطبيعي ، لأن في ذلك تخفيفاً عن أعبائهم في تكاليف استخدام البنزين ، وكذلك تنقية للبيئة من التلوث الذي بلغ حداً لا يطاق !!..

وهنا يجدر بنا أن نحيّي الدكتور " عبد الرحيم ش[illegible]ة " محافظ القاهرة ، ونضرب له " تعظيم سلام " للقرار الشجاع الذي أص[illegible] بإعطاء مهلة حتى منتصف شهر مارس ١٩٩٩ لأصحاب سيارات الميكروبا[illegible] يحوّلوا سياراتهم إلى النظام المزدوج " بنزين / غاز " !!.. ولكن للأسف [illegible] سيارات الميكروباص كما هي ، تنبعث

منها العوادم السوداء ، وليت هذا القرار يمتد إلى أن يشمل جميع السيارات الحكومية التي تساهم بقدر كبير في تلوث البيئة .. وقد قرأنا أن السيد محافظ القاهرة قرر تحويل جميع سيارات ديوان المحافظة إلى النظام المزدوج خلال عام واحد ، كما وعد بتحويل جميع سيارات هيئة النقل والميكروباص خلال ستة أشهر .. ونحن نتمنى للدكتور عبد الرحيم شحاتة التوفيق في ذلك تخفيفاً لحدة التلوث المخيفة في القاهرة .

وأقول للسيدة وزيرة الدولة لشئون البيئة : ماذا يضير لو أن الوزارة خصصت بعض هذه الملايين العديدة التي رصدتها لحماية البيئة من التلوث ، للمساهمة في تكاليف تحويل السيارات لتعمل بالغاز الطبيعي ؟!.. وماذا لو أعلنت الوزارة عن استعدادها للدعم والمساهمة في هذا الشأن ، على أن تصبح تكاليف تحويل السيارة " ألفين فقط " من الجنيهات ؟!.. ويمكن لوزارة البترول أن تتعاون مع وزارة شئون البيئة في نفس الموضوع!!..

إنني أتصور لو أن هذه المساهمة قد تحققت ، وتم التعاون بين الوزارتين لتقديم الدعم المناسب ، وعلم المواطنون بأن تكاليف تحويل السيارة ستنخفض لتصبح " ألفين فقط " من الجنيهات .. أتصور أن عدد السيارات التي سيتم تحويلها سوف يقفز إلى أرقام كبيرة، وأتصور أن إقبال المواطنين على ذلك سيكون عظيماً ، مما يجعل وزارة البترول تسارع بإنشاء العديد من محطات تحويل السيارات .. كما أتمنى أن تتوحد جهود الوزارتين بالتعاون مع هيئة النقل العام المباشر وغير المباشر في تحويل سيارات الهيئة ، وكذلك جميع السيارات الحكومية .. وأعتقد أن شركات التأمين المختلفة والبنوك المتعددة ، يمكن أن يكون لها دور فعال في تحقيق هذا الهدف ، خاصة إذا أعلنت البنوك عن استعدادها لتمويل تكاليف تحويل السيارات ، وتقسيط هذه التكاليف على أصحاب السيارات !!..

عندئذ نستطيع أن نقول إن نسبة كبيرة من التلوث قد خفّت حدتها .. كما نستطيع أن نقول للمواطنين : الآن " ربما " تستطيعون الخروج من البيوت ، لتستنشقوا هواء نقياً " إلى حد ما " !!..

كما أود أن ألفت نظر السيدة وزيرة شئون البيئة ، إلى مجال آخر من مجالات التلوث الخطيرة .. بل من أكثرها خطورة .. وهو تلوث المياه عن طريق تلويث مياه النيل ، بتلك المواد والمخلفات التي تلقيها المصانع في النيل ، وكذلك تلك " العوّامات " والأندية والكازينوهات المنشأة على جانبي النيل ، التي كثيراً ما نادى وصرخ الصحفيون والكتّاب لوقف إنشاء هذه الأندية والكازينوهات .. وكأنهم " يؤذّنون في مالطة " !!.. ورغم أن بعض المسئولين كانوا يدلون بتصريحات تعارض هذه الإنشاءات ، ويعطون الوعود للتصدي لهذه الظاهرة الخطيرة ، إلا أن هذه الظاهرة استشرت وتعددت .. وكأن أصحابها يقولون للمعارضين : " موتوا بغيظكم " !!..

ويبدو أن أصحاب هذه المشروعات التي تقتل الحياة في نهر النيل، لا يهمهم أحد ولا يكترثون لأصوات المعارضين ولا لصرخات الصارخين .. فهم يملكون " اللحاليح " التي تخرس الألسنة وتقاوم الريح .. وتمكّنهم من شراء زجاجات المياه النقية والمعدنية لهم.. وحتى لكلابهم وقططهم !!.. إذن ، فماذا يقلقهم أو يعنيهم إذا ما تلوثت مياه النيل ..أو انتشرت الأمراض بين أبناء هذا الجيل ؟؟!!..

وإذا كانت أصواتنا قد بُحَّت ، وصرخاتنا قد خفتت وكُتمَت ، وآمالنا قد خُذلَت ، فلم تبق في صدورنا إلا صرخة مكتومة نصرخها " على الورق " .. لعل السيدة وزيرة الدولة لشئون البيئة تتأثر بها وتفكر في موضوعها !!.. هذه " الصرخة المكتومة " التي تحمل الحزن والأسى هي أنه مادام أمر هذه المنشآت المقامة على جانبي النيل قد أصبح أمراً واقعاً فرض نفسه رغم أنوفنا ، وانتصر على أصوات المعارضين وصرخات الصارخين.. فلا أقل من أن يعاد النظر في أسلوب التعامل مع مخلفات هذه المنشآت التي تلقى في مياه النيل ، وأن يعمل المسئولون ، ويجبروا " عفواً " يتوسلوا

ويرجوا أصحاب هذه المنشآت ، أن يعملوا على إنقاذ النيل من " سموم " هذه المخلفات ، عن طريق ضخّها بمضخات خاصة بين الحين والآخر لتنقل في خزانات ، حيث تصرف في أماكن مناسبة ، بعيداً عن مجرى النيل .

ولقد قرأنا أن بعض الإجراءات قد اتخذت في هذا الشأن ، وأن هناك قانوناً قد صدر لنفس الموضوع ، وأن هناك غرامات لمن يخالف هذا القانون .. وهنا أريد أن أنبّه المسئولين إلى أن بعض الناس لا يعبأون بالقانون ولا تضلعهم الغرامات ، ويعملون بالمثل القائل : " ما وضعت القوانين إلا لتُخْرَق " !!.. وكم من القوانين التي صدرت ، لحماية المجتمع من اللصوص والمنحرفين ، وترويج المخدرات والتطرف والإرهاب .. ومع ذلك فإن المجتمع مازال فريسة للصوص والمنحرفين، وتجار المخدرات والمتطرفين والإرهابيين والمزوّرين والغشاشين !!.. إذن فالمسألة هنا ليست مجرّد قوانين وتعليمات تصدر ، بقدر ما هي متابعة جادّة وحازمة لتطبيق هذه القوانين وتنفيذ التعليمات ، وتغليظ العقوبات الرادعة لمن تسوّل له نفسه أن يلوث مياه النيل .. بالغاء رخصة النادي أو الكازينو أو العوّامة – وإن كنت أشك في القدرة على تنفيذ ذلك – !!.. وبذلك نساهم في حماية النيل من نسبة كبيرة من أسباب تلوث مياهه ، والتي عن طريقها انتشرت أمراض الفشل الكلوي والتهابات الكبد الوبائي والسرطان بين المواطنين الذين لا يملكون القدرة على شراء زجاجات المياه النقية ، ومازالوا هم وأولادهم يعيشون على مياه النيل ، متوكّلين على الله ومسلمين الأمر له .. فهو حسبهم ونعم الوكيل !!..

ولعل هذه " الصرخةالمكتومة " في صدور الملايين من أبناء هذا الشعب الطيب المسالم والصابر ، تجد آذاناً صاغية وعقولاً واعية ، حتى نستمر في غنائنا للنيل الخالد ، وليس " للنيل الرّاكد " .. وحتى نقول بجدارة وصدق :

" إن مصر هبة النيل .. وليست ضحية النيل !!!...

اللَّحْلُوح .. معبود العصر !!..

عجيب أمر هذا الزمان الذى نعيش فيه اليوم !!.. فقد أصبح فيه معبود جديد له من قوّة السلطان ، ما يغلب السلطان ، وله من قوّة السحر ما يقهر السّاحر ، وله من قوّة الدفع ما تتضاءل أمامه قوّة البلدوزر !!.. هذا المعبود الجديد ، الذى يذيب الجليد ، ويفتت العزم الشديد ، ويأتى بالنجاح الأكيد ، هو ما يعرف على المستوى العالمى باسم "الدولار " وعلى المستوى المحلـّى باسم " الجنيه " وقد أطلق عليه أهل " الفهلوة واللحلحة " لقب " اللحلوح"!!. ويبدو أن هذا اللقب مناسب لمضمونه ومغزاه ، فهو " يلحلح " الجبال الراسيات .. ويزيل أقوى المعوّقات .. ويحل أعقد المشكلات !!..

وأصبح أهل " الفهلوة واللحلحة " يتغنون به ، وينصحون بعبادته.. وإخراجه فى المناسبات ، حتى لا يتعب " الثعلب " .. ويصبح فى إمكانه أن " يلفّ " لفـّة واحدة بدلاً من " السّبع لفـّات " !!.. فماذا يقولون ؟؟!!..

خـلـّيـك بـحـبـو ح!!..

خليك بحبوح وادّى اللحلوح **** تلقى أبو الهول بالسّر يبوح !!..

أصل اللحاليح فيها المفاتيح **** والصّعب يهون ماطرح ما تروح !!..

خليك بحبوح !!..

ما تقولش لوايح ولا قوانين **** ولا سين ولا جيم ولا أستاذ مين

لو تتلحلح وتبص يميـــن **** راح تلقى الباب على طول مفتوح

خليك بحبوح !!..

لاتقوللى نظام ولا أىّ أصول **** وَفَـــر كلماتك مهما تقول

كل العقبات على طول حتزول **** لو محفظتك بريحتها تفوح !!..

خليك بحبوح !!..

لو إن مصالحك عاوزه كتير **** ما تقولش انا عندى واسطه وزير

لو تتلحلح مع حتى غفـــير **** حتلاقى نتيجه ترد الرّوح !!..

خليك بحبوح !!..

وضماير إيه ونزاهة إيه **** واللا الأخلاق راح تعمل إيه ؟؟!!..

مع ناس وزمان اتفقوا فيه **** ونزيــــه اليد يعيش مجروح !!..

خليك بحبوح !!..

إن كنت مصمّم ع التقاليد **** واللا العفـــّة ونزاهة الإيد

حتلاقى جيوش غاويين تعقيد **** ولا تجنى غــــير البكا والنوح !!..

خليك بحبوح !!.

ما بقاش لا نزاهه ولا أخلاق **** حتى الباطل بقى ليه عشـــّاق !!

ريّح نفسك ولا يوم تستاء **** روح بقى غيّر مفاهيمك روح !!..

خليك بحبوح !

مع الاعتذار لأصحاب الأخلاقيات ، الذين لا يعرفون طعم اللحم أو الحلويّات !!..



النظافة بين الأمس واليوم !!!...

في التاسع من نوفمبر عام ١٩٩٧، قرأت في جريدة الأخبار ، خبراً بعنوان : " شهر مهلة لتنظيف أسطح المنازل " .. وجاء في الخبر ما يلي بالنص :

" قررت هيئة نظافة وتجميل القاهرة القيام بحملة في جميع أحياء القاهرة ، لنظافة وإخلاء أسطح المنازل من المخلفات .. أعطت الهيئة مهلة للملاك والمستأجرين لمدة شهر لتنظيف الأسطح .. يتم بعدها تحرير المحاضر .. وتقوم الهيئة بنظافة الأسطح على نفقة المستأجر أو المالك " .

ما شاء الله !!..

إن هيئة نظافة وتجميل القاهرة أدّت واجبها على الوجه الأكمل .. واطمأنت على نظافة القاهرة وتجميلها .. وبعد أن خلت الشوارع والميادين من أكوام " الزبالة " ومخلفات " قاطرات " الكارّو والحناطير، أما " بالوعات المجاري " التي كانت تنشر روائحها " العطرة " في كل الاتجاهات حتى تزكم الأنوف .. لم نعد نراها .. لأن الهيئة " الموقرة " للنظافة والجمال ، قد غطّت هذه البالوعات بباقات الورود والزهور .. وبعد أن حققت الهيئة " النظيفة والجميلة " كل أهدافها ، ووجدت أن القاهرة أصبحت على درجة من النظافة بحيث تمكّنها من منافسة المدن العالمية ، وتستطيع أن تخرج " لسانها " لمدينة " باريس " أو " فيينا " التي قالت عنها المطربة الراحلة " أسمهان " أن فيها ليالي الأنس ، ووجد المسئولون في هذه الهيئة " الموقرة " أنهم أصبحوا في فراغ قاتل بعد أن أتموا نظافة القاهرة وتجميلها بنسبة " مائة في المائة " .. ووضعوا اللافتات المتعددة التي تناشد المواطنين بقولها " حافظوا على نظافة مدينتكم " ، وكأنهم أدوا الأمانة وسلموها لضمير المواطن الذي أصبحت عينه معتادة على رؤية كل ما هو " نظيف وجميل " .

ولما اطمأن هؤلاء المسئولون " رضي الله عنهم " ظلوا يتباحثون ويتناقشون فيما يجب عمله لشغل هذا الفراغ الكبير ، وحتى يجعلوا المرتبات والمكافآت والحوافز التي يتقاضونها حلالاً " بلالاً " لهم .. فاقترح موظف همام منهم أن يتجه نشاطهم إلى مجال آخر وغير مسبوق ، يثبتون به وجودهم ، ويشغلون فراغهم ، ويزيدون عن طريقه حوافزهم ومكافآتهم .. ولما " حملق " المجتمعون في ذلك " الهمام " ، وقالوا له : أفتنا أفادك الله !!..

قال ذلك المفكر الهمام ، والفيلسوف المقدام : لم يبق في القاهرة الآن مكان يحتاج إلى نظافة أو تجميل .. إلا أسطح المنازل .. التي قد يكون بعضها مليئاً بالمخلفات .. وطبعاً هذا لا يليق بمكانة القاهرة " عاصمة مصر " المعروفة بين دول العالم بأنها " أم الدنيا " ، وقد ينظر السائحون من نوافذ الطائرات المحلقة في سماء العاصمة ، ويرون تلك المخلفات التي تشوّه مناظر هذه الأسطح ، مما يسيء إلى سمعة القاهرة.. ويسبب الحرج لهيئتنا " الموقّرة " ، ولهذا أقترح أن نبدأ بحملة " قومية " في جميع أنحاء القاهرة ، لنظافة وإخلاء أسطح المنازل من المخلفات ، وأن نعطي مهلة للملاك والمستأجرين لمدة شهر ، لتنظيف الأسطح ، يتم بعدها تحرير المحاضر ، وتقوم هيئتنا " الموقرة " بنظافة الأسطح على نفقة المستأجر أو المالك .. وبهذا نحقق عدة أهداف منها :

١ –المحافظة على نظافة الأسطح ، ربما يفكر السائحون في زيارة بعضها والتقاط الصور لها .

٢–شغل أوقات الفراغ للعاملين بالهيئة " الموقرة " .

٣–إيجاد موارد جديدة نعزّز بها ميزانية الدولة ، عن طريق تحرير محاضر المخلفات ، ودفع الملاك والمستأجرين لتكاليف أعمال النظافة التي ستقوم بها الهيئة " الموقرة "

٤- مع إضافة "ضريبة المبيعات " لتلك التكاليف . وفي ذلك طبعاً فرصة لزيادة حوافز ومكافآت العاملين بالهيئة " الموقرة " ، التي ستبذل جهوداً مضنية في هذا المجال !!..

وما أن انتهى هذا الموظف الهمام من عرض ما تخيله من أحلام ، إلا واندفع المستمعون بالصياح والتصفيق ، مؤيدين للاقتراح ، واعتبروه اقتراحاً ومشروعاً " قومياً ، اشتراكياً ، استراتيجياً " لابد من تنفيذه على الفور .

ونحن بدورنا نهنئ السادة العاملين بالهيئة " الموقرة " على أفكارهم" القومية " .. ونرجو أن أن تمتد أفكارهم حتى تعمّ " النظافة " كل شيء وخاصة نظافة " الأمخاخ" التي يمكن أن يمتد نشاطها الى نظافة الجيوب !!..

يا نقابات الفن .... من هو الفنان ؟؟!!..

غريب أمر هذا الزمان الذي نعيشه هذه الأيام !!.. ورحم الله أيام زمان !!.. فبالأمس البعيد ، أي " أيام زمان " كانت الألقاب مسموحاً بها .. وكانت بعضها تُمنح بمراسيم ملكية ، مثل لقب " بك " و " باشا " ، وكانت هناك ألقاب " صاحب السعادة " و " صاحب المقام الرفيع ".. و " دولة الباشا " .. و " فلانة هانم " .. و " صاحبة العصمة " .. وغير ذلك من الألقاب التي كنا نسمع عنها .. وكان كثير من الناس يسعون لنيلها مهما كلفهم ذلك !!..

وكانت هذه الألقاب تؤثر في أصحابها ، وفي سلوكهم ، وأسلوب تعاملهم مع الناس.. وقد تجعل بعضهم يشعرون بأنهم قد تميّزوا على غيرهم فكانوا يتعالون عليهم .

وكانت الألقاب تمنح أيضاً في مجال الفن والفنانين .. فمثلاً.. كان هناك لقب " كوكب الشرق " الذي اقترن باسم " أم كلثوم " ، وكذلك لقب " سيدة الغناء العربي" .. ولقد كانت " أم كلثوم " جديرة بهذين اللقبين .. وكان لقب " عميد المسرح " للفنان الراحل " يوسف وهبي " .. وحتى في مجال الأدب والشعر ، فكان لقب" عميد الأدب العربي " للأديب الراحل " طه حسين " .. ولقب " أمير الشعراء " للشاعر " أحمد شوقي" ولقب " شاعر النيل " للشاعر " محمد حافظ ابراهيم " .. ولقب " شاعر السيف والقلم للشاعر" محمود سامي البارودي " .. وهكذا ..

ورغم أن حكومة الثورة ألغت الألقاب الملكية مثل : " بك " و " باشا " .. إلا أنهما لا يزالان يترددان على الألسنة كثيراً .. وخاصة لقب " باشا " الذي ينادَي به كل من كان " باشا " سابقاً ، ومن لم يكن كذلك ، وأصبح هذا اللقب شبه رسمي في مجالات الشرطة ووزارة الداخلية .. وكل ضابط مهما كانت رتبته ، أصبح يستمتع

بسماع لقب " باشا " ، وهو يقترن باسمه .. وربما يضايقه أن يسمع اسمه بدون هذا اللقب !!..

ولا أدري لماذا يستمتع هؤلاء بهذه الألقاب التي لا تقدم ولا تؤخر ، والتي يمكن أن تصيب من يحبون سماعها بالكبر والغطرسة والخيلاء !!.. كما تصيب الناطقين بها بالنفاق والرياء .. وتسبب لهم الازدراء في أعين السامعين والمشاهدين !!..

وبما أن هذه الألقاب لم تعد تمنح بمراسيم ملكية أو جمهورية .. فقد أصبحت مباحة لكل من " هب ودب " .. وبدأ كل من يعمل في مجال الفن يطلق على نفسه لقباً ليقترن باسمه .. سواء كان جديراً به أم لا ..باعتباره من لوازم الشهرة والانتشار ، و " أكل العيش " أو على الأصح " أكل البقلاوة " !!.. فعازف العود أو الكمان أو الأورج أو الناي .. وربما ضارب الرّق أو الإيقاع " أطلق على نفسه لقب " الموسيقار " .. وبعض الممثلين أطلقوا على أنفسهم ألقاباً متباينة مثل : " وحش الشاشة " لمحمود المليجي .. و " ملك الترسو " لفريد شوقي.. و " نجمة الجماهير " لنادية الجندي .. و " سيدة الشاشة " لفاتن حمامة..و " نجمة مصر الأولى " لنبيلة عبيد .. و " راقصة مصر الأولى" لفيفي عبده .. وغير ذلك من الألقاب التي منحها كل منهم لنفسه .. ومنهم من يستحق هذا اللقب مثل " فاتن حمامة " و " محمود المليجي " و " فريد شوقي " .. ومنهم من لا يستحق !!..

والأغرب من ذلك أن كل من عمل بمجال الفن التمثيلي أو الموسيقي أو الغنائي ، أصبح يُطْلَق عليه لقب " الفنان " حتى ولو كان يعمل " كومبارس " أو كان يحمل حقيبة ملابس الراقصة !!..

وهذا يقودنا إلى سؤال هام يجب أن نطرحه على كل من يعملون في المجالات الفنية ، ومن يتصدرون العمل في النقابات الفنية المختلفة .. هذا السؤال هو :من هوالفنان ..

هل كل من يغني يعتبر فناناً ؟!.. بالطبع لا .. فالفنان في رأيي يجب أن يكون مبتكراً أو مبدعاً .. وعلى سبيل المثال : فهناك فروق بين المطرب والمغني والمؤدِّي

والفنان .. فالمطرب هو الذي يطرب الناس بصوته الجميل ، وهو الذي يستطيع أن يتصرف في اللحن الذي يؤديه ببراعة ثم يعود إلى نفس اللحن الأساسي دون أن يخرج عن مقاماته .. وهو الذي يستطيع أن يؤدي الليالي والموال أثناء الأغنية بما يناسب اللحن الأصلي .. إذن .. فالمطرب فنان .

أما المغني الذي يلتزم باللحن ، ولا يستطيع التصرف فيه فهو مغنٍّ فقط .. وليس فناناً .. وكذلك المؤدي الذي قد لا يكون صوته جميلاً ، ولكنه قادر على الأداء .. فإن كان يستطيع التصرف وأداء الليالي والموال ، فهو فنان .. وإلا كان مؤدياً فقط .. أما الذي يضع الميكروفون تحت إبطه ، ويصفق .. ويقفز على المسرح هنا وهناك ، مثل " الفرقع لوز " ، فهو ليس مطرباً ولا مغنياً ولا مؤدياً ولا حتى منولوجست .. بل يكون مهرّجاً ، ولا يمكن أن نسميه فناناً .. ومن يُطْلِق عليه لقب " الفنان " يكون جاهلا بالفن، ومنافقاً ولا يعرف عن الفن شيئاً .

والممثلون أيضاً .. يجب أن تقتصر ألقابهم على لقب " ممثل " فقط .. إلا إذا كان لهم نشاط مبدع أو مبتكر ، كالتأليف أو الإخراج مثلاً .. لأن المؤلف فنان ، والمخرج فنان .. والشاعر فنان .. والكاتب فنان .. ومهندس الديكور فنان .. والرسام فنان .. والملحن فنان .. والمطرب فنان .

وأعتقد أنه آن الأوان لكي نعطي كل ذي حق حقه .. فلا تمنح الألقاب جزافاً وعلى إطلاقها ، دون جدارة أو استحقاق .. فلا نطلق لقب " الفنان " إلا على من كان مبدعاً أو مبتكراً .

وأريد أن أعبّر عن " صرخة مكتومة " يشعر أصحابها من الفنانين بالظلم الكبير .. فمثلاً .. يعصر المؤلف فكره .. ويبتكر أغنية.. ثم يتناولها الملحن بعصارة فكره أيضاً .. ويضع لها اللحن المناسب .. ثم يدرّب " المغنّي " على أدائها .. وبعد أن يتم للأغنية النجاح والانتشار .. فلا تنسب الأغنية إلا للمغني فقط .. وكثيراً ما يُعْلَن

عن الأغنية مقترنة باسم " المغني " فقط ، دون ذكر المؤلف والملحن ، صاحبي الفضل في إبداعها وابتكارها .. وفي هذا ظلم كبير.. للمؤلف والملحن على السواء !!..

إنني أطالب النقابات الفنية .. كنقابات الممثلين والسينمائيين والمؤلفين والملحنين والموسيقيين ، بأن تدافع عن حقوق المؤلفين والملحنين والمخرجين ، والمبدعين بصفة عامة .. في أن يعرفهم الجمهور، كما يعرف المؤدين لأعمالهم الإبداعية التي نبعت من إحساسهم ووجدانهم .. وأن يكون لهم نصيبهم من الشهرة والانتشار.. فمثلاً لابد من وضع صورة المؤلف والملحن والمخرج بجانب أسمائهم ، عند تقديم أيّ من أعمالهم في السينما أو التليفزيون.. وذكر أسمائهم في الإذاعة .. حتى ينال كل منهم حقه من الشهرة والانتشار !!.. وكذلك لابد من ذكر اسم المؤلف والملحن كما يذكر اسم المطرب أو المغني ، عند تقديم الأغنية في أي مكان .. و أن يسنّ قانون يعاقب من يخالف ذلك ويعطي هؤلاء المبدعين الحق في مقاضاة المخالفين ، ومطالبتهم بالتعويضات المناسبة .. وهم أحق بذلك ممن يقومون بتقديم أعمالهم فقط .. إذ ليس من العدل أبداً أن تنسب الأغنية إلى المطرب أو المغني .. بينما ينسى المؤلف والملحن !!..

يا نقابات الفن .. ويا من تسهرون على حقوق الفنانين بصفة عامة.. نناشدكم أن تحافظوا على كرامة الفنانين الحقيقيين .. وتدافعوا عن حقوقهم .. وتستجيبوا .. لصرخاتهم " المكتومة " !!..

الانضباط والانبساط .. هنا وهناك !!..

الانضباط كلمة نسمعها بين الحين والآخر .. ولها مدلول معناه في كلمات موجزة ، هو احترام القانون ، والقواعد التي يتعارف عليها كل من يعيش في المجتمع ..وقد يكون القانون صارماً في بعض الحالات.. ولكن ما دام قد أصبح قانوناً وأقرّته الأغلبية ، فلابد أن يحترمه الجميع بلا استثناء ، لأن احترام القانون هو التزام بحماية القيم والمبادئ التي تحمي المجتمع من أي فساد أو انحراف .

وإذا ما التزم جميع المواطنين بهذا الانضباط الذي يعتبر تفسيراً لاحترام القانون ، فإننا بلا شك سنعيش في مجتمع آمن ومستقر ، يتفرّغ فيه كل مواطن في موقعه لأداء واجبه في تفان وإخلاص ، ويحصل على حقوقه كاملة وبلا انتقاص !!..

والانضباط والالتزام سلوك أخلاقي يعيش في الوجدان والضمير .. ولا يحتاج إلى رقابة بقدر ما يحتاج إلى اقتناع وإيمان !!.. ونظراً لأن الناس يختلفون في درجات انضباطهم والتزامهم ، واحترامهم للقانون ، وهذه سنة الحياة .. وطبائع البشر .. إذن .. فلابد أن يكون للقانون سلطان يحميه ويحافظ علي هيبته .. ولهذا وجب على أصحاب السلطة أن يكونوا في منتهى الحزم والحسم والشدة في مراقبة تطبيق القوانين ، ومعاقبة المخالفين ، وعدم التهاون مع الذين يخرقون القانون ، مهما كانت مواقعهم في المجتمع .. سواء كانوا من أصحاب السلطة أو المناصب .. أو كانوا من المواطنين العاديين .. ويجب ألا يكون هناك استثناء لأي فرد من الأفراد وإلا بدا القانون ضعيفاً ، لا حماية له ، ولا عقاب على خرقه ومخالفته .. وبذلك تنتشر الفوضى ، وتنتهك الحرمات ، وتهتك الأعراض ، وتختلس الأموال ، ويعم التسيّب واللامسئولية واللامبالاة.. فينصرف الناس عن الصالح العام ، ولا يهتم كل فرد إلا بما يرى فيه

مصالحه الشخصية ، حتى لو كان ذلك ضد المصلحة العامة للمجتمع وضد مصالح الآخرين .. وبذلك يتحول الناس إلى وحوش كاسرة ، يأكل القوي الضعيف ، ويتحول المجتمع إلى غابة تسودها الوحشية والحيوانية والقسوة !!..

فإذا نظرنا إلى بعض ما نراه في مجتمعنا هذه الأيام من سلوكيات بعيدة كل البعد عن الانضباط واحترام القانون .. وإذا تأملنا الفوضى واللامبالاة والسلبية التي انتشرت واستشرى أمرها بين الناس ، لأدركنا مدى الخطر الذي يتعرّض له المجتمع ، والأضرار التي ستلحق بالمواطنين !!..

وعلى سبيل المثال .. فإنك تركب " الأوتوبيس " ، وتقرأ على جوانبه عبارة " ممنوع التدخين " كما تقرأ رقم المادة والقانون الذي يقرر ذلك .. ومع ذلك فأنت ترى عدداً غير قليل من الركاب يدخّنون ، وحتى السائق والمحصّل .. ولا يبالون بقانون ، ولا بمشاعر الآخرين ، مهما كان ضيقهم وتذمرهم واستياؤهم من رائحة الدخان.. والويل لمن يعترض على أحد المدخنين ، أو يطلب منه إطفاء السيجارة !!.. فقد تسمع منه عبارة تدل على تخلف أخلاقي رهيب!!.. فمثلاً .. تسمع عبارة " أنا حرّ " أو عبارة " إن ما كانش عاجبك انزل وخد لك تاكسي " !!.. وقد يشعل سيجارة من أخرى ، إمعاناً في كيد المتضررين !!.. والغريب أنك قد تجد بعض الركاب يطلبون منك أن تتركه يفعل ما يريد ، ويحذّرونك من احتمال بطشه واعتدائه عليك .. فإذا أصررت على موقفك ، ودافعت عن القانون والذوق العام ، ربما تعرّضت لمعركة غير متكافئة مع ذلك الإنسان الشاذ والمتخلف ، وربما نلت منه ما لم تتوقع ، من ضربات ولكمات وإهانات.. وسوف تجد جميع الركاب يشاهدون المعركة ويتأففون .. وكأنهم يشاهدون فيلماً في التليفزيون ، ولكنهم لا يتحركون لنجدتك ، تجنباً لما يمكن أن يصيبهم !!..

ولو كان هناك مسئولون مخصصون لمفاجأة بعض الأوتوبيسات للقبض على أمثال هؤلاء المستهترين بالقانون وبمشاعر الناس ، ومحاسبتهم على مخالفة القانون ، لما كانت تحدث مثل هذه المواقف ، ولما كانت هذه السلبية واللامبالاة !!..

وفي مفارق الطرق والميادين العامة ، توجد إشارات المرور ، كما توجد أعداد كبيرة من رجال المرور ، من مختلف الرتب .. ابتداء من الجندي المجند الذي لا يعرف اسم الشارع أو الميدان الذي يقف فيه ، حتى رتبة العقيد والعميد واللواء ، وهم جميعاً لا يستطيعون السيطرة على حركة المرور ، وتحقيق الانضباط المطلوب !!.. وكم من ضباط الشرطة أنفسهم يخالفون تعليمات المرور .. وكذلك بعض أصحاب المناصب ، وأبناء بعض المسئولين وأصحاب الملايين ، ممن يعتقدون أنهم فوق القانون ، وأن مناصبهم أو أموالهم تحميهم من المساءلة أو الحساب !!..

وقد يجد المواطنون أن حركة المرور قد توقفت تماماً في بعض الشوارع والميادين العامة ، ولوقت طويل ... ثم يجدون بعض الموتوسيكلات التي تجوب الشوارع .. وتطلق أصوات " السارينات " معلنة عن اقتراب موعد مرور شخصية هامة .. وتجد أصحاب الرتب المختلفة من رجال المرور والمباحث ، وقد دب فيهم جميعاً النشاط والانفعال .. وكلهم يحملون التليفونات اللاسلكية .. ويتعجّب قائدو السيارات ، الذين يجلسون في سياراتهم ، يكتمون غيظهم ويضربون أكفّهم ، وينفخون .. لعلهم ينفّسون عن بعض غضبهم ، حتى يروا بعض السيارات التي تطل منها المدافع الرشاشة ، وكأنهم في موكب حربي ، يشعر المواطنين بالرعب والخوف !!.. بعد ذلك تمر بعض السيارات الفخمة ، والتي لا يمكن رؤية من بداخلها !!..

وبعد أن يمر هذا الموكب المميّز .. ينتهي حماس المتحمّسين ، ويذهب انفعالهم ، ويفتر اهتمامهم ، وكأنهم يتنفسون الصعداء ، ويحمدون الله أن مرّ الموكب أمامهم على خير !!..بعد ذلك تُعْطَى الإشارات وتدوّي الصفارات لتنطلق سيارات المواطنين والنقل العام والمصالح والشركات والطلاب ، الذين تتعطل مصالحهم وتتأخر أعمالهم بسبب هذه المواكب المتكررة ، والتي لا مبرّر لها إلا في أذهان بعض المسئولين الذين يتملكهم الرعب والخوف إذا ما تحركوا بدون هذه الحراسات !!..أو ربما للمظهرة والتفاخر وإثبات وجود الذات!!..

وكثيراً ما اعترض الصحفيون والكتّاب على ظاهرة هذه المواكب التي تتسبب في إصابة حركة المرور بالشلل والارتباك في أنحاء القاهرة ولساعات طويلة ، مما يترتب عليه تعطيل الأعمال وضعف الإنتاج وضياع كثير من الأموال التي تنفق على البنزين المستهلك بلا فائدة .. ناهيك عن المشاكل التي تترتب على تأخر العاملين في الوصول إلى أعمالهم في الأوقات المناسبة .. والمستقبل الذي يمكن أن يتأثر بتأخر الطلاب أيام الامتحانات ، مما يثير الغضب والضجر والاستياء لدى سائر المواطنين !!..

وكم من الآراء التي نادت بضرورة الحد من هذه المواكب التي تصيب القاهرة بالاختناق .. وأنه يمكن استبدال هذا الأسلوب ، بتحرك كبار المسئولين بطائرات الهليوكوبتر إذا لزم الأمر ، أو في سياراتهم العادية كسائر المواطنين ، وتوفير هذه الطاقات البشرية المخصصة للحراسات الخاصة ، وتشغيلها في أمور كثيرة وأكثر أهمية ، يحتاجها المجتمع لتحقيق الانضباط الضائع .. ونشر الأمن بين المواطنين !!..

وعن سلبية المواطنين حدّث ولا حرج !!.. فلو تعرّض مواطن لاعتداء بعض البلطجية ، أو تعرّضت سيدة للنشل أو السرقة ، أو اختطفت فتاة .. فنادراً ما يتحرك

المواطنون أو يتدخلون .. خوفاً من بطش المجرمين !!.. وإذا تحركت الشهامة " النادرة " في هذه الأيام ، في ضمير أحد المواطنين ، فربما تعرّض لضربات السلاح الأبيض المشهر في أيدي المعتدين ، ودفع ثمن شهامته من دمه ، وربما من مستقبله إذا أصيب بعاهة تقعده عن العمل ، فلا أحد يعوّضه ، أو يرثي لحاله !!..

وحتى المستشفيات .. وخاصة .. تلك التي يسمّونها بالمستشفيات الخاصة أو "الاستثمارية " كفانا الله شرّها .. فقد أصاب معظم أصحابها الجشع والطمع .. وتجرّد معظم العاملين بها من الإنسانية والرحمة .. فإذا وصل إلى باب المستشفى مصاب ينزف ، ويحتاج إلى إسعاف سريع، فإن المسئولين بالمستشفى يرفضون قبول المصاب قبل دفع ألف جنيه أو أكثر " تحت الحساب " لخزينة المستشفى !!.. ويتوسّل أهل وأصدقاء المصاب .. ويرجون ويستعطفون الأطباء وغيرهم من المسئولين بالمستشفى لإدخال المصاب أولاً لإنقاذه .. فلا يستجيب أحد حتى ولو نزف المصاب كل دمه !!..

وكثيراً ما تكون مثل هذه المواقف اللاإنسانية سبباً في وفاة كثير من المصابين .. ويبدو أن ملائكة الرحمة الذين كنا نسمع عنهم قديماً قد انقرضوا وراح زمانهم .. وحلّ محلّهم " شياطين الزحمة " ومعهم طمعهم وجشعهم .. ولا حول ولا قوة إلا بالله !!..

أما المواصلات ، كفانا الله شر نوادرها .. فقد أصابت الناس باليأس والإحباط .. وفقدان الأمل في الإصلاح .. فإذا أردت أن تركب الأوتوبيس ، فيجب أن تكون من المتدربين على " الجمباز " وأن يكون لديك القوة والقدرة على القفز من " الشبابيك " واقتحام الكتل البشرية .. وأن تتخلّص من إنسانيتك تماماً حتى لا تتأثر بشيخ تدفعه ، أو بسيدة تزيحها من أمامك أو " معوّق " لا تكترث له .. ويستحسن

أن تكون من أبطال " الماراثون " أي الجري السريع حتى يمكنك اللحاق بالأوتوبيس " الطائر " الذي يتعمّد سائقه ألا يقف أمام المحطات ، ويتلذّذ سائقه بأن يرى جماهير الركاب ، وهي تجري وراءه وهي تلهث .. ولا يرحم فيهم شيخاً مسناً ، أو امرأة " حاملاً " ، أو سيدة تحمل طفلاً رضيعاً ، أو تجرّ طفلاً بريئاً .. أو معوّقاً يسير على" عكازين " !!.. وإذا كنت سعيد الحظ وفزت بمقعد تكون قد حققت " معجزة " !!.. وإذا أسعفك حظك ، ووجدت مساحة " سنتيمترات " تكفي لوقوفك داخل الأوتوبيس ولو على قدم واحدة وترفع الأخرى ، تشعر بأن الله قد أكرمك !!.. ولا داعي لأن تتجهّم أو تتذمّر عندما يصيح " الكمساري" في الركاب لكي يتزحزحوا ويتجهوا إلى الداخل قائلاً للركاب بين الحين والآخر : " ادخلوا يا حضرات .. العربية فاضية " !!.. كما يصيح في المتعلقين على سلّم الأوتوبيس ولو بقدم واحدة قائلاً : " التذاكر يا فندية " !!..

وإذا لم تكن من القادرين على ممارسة هذه الرياضات اليومية العنيفة ، فعليك أن تسلّم أمرك إلى الله ، وتشير إلى " تاكسي " الذي يسألك سائقه عن وجهتك ، فإن وافق ذلك "مزاجه " سمح لك بالركوب .. وإلا انصرف وتركك حتى دون أن يرد عليك !!.. وتظل واقفاً حتى ينقذك دعاء والديك " إن كنت قد أرضيتهما " وتجد تاكسياً آخر يسمح لك بالركوب .. ثم يتوقف التاكسي أكثر من مرة ، ليسمح لغيرك بالركوب ، دون أن يكون لك رأي أو مجرّد تعليق ، وإلا أصدر " فرماناً " بحرمانك من هذه النعمة ، وأنزلك إلى الطريق!!.. وقد تراه يسير في طريق غير طريقك .. فإذا استفسرت منه " وطبعاً .. بأسلوب هادئ ومهذب " ، أجابك بأنه سيوصّل السيدة أولاً ثم يوصّلك بعدها ، حتى ولو كانت هذه السيدة قد ركبت بعدك !!.. وعند نزولك من التاكسي ، تكون مخطئاً في حق نفسك لو أعطيته ورقة مالية من فئة العَشر جنيهات أو العشرين .. لأنه سيحتجز لنفسه المبلغ الذي يريده " رغم أنفك "

.. وإذا أعطيته أنت ما تعتقد أنه مناسب ، اعترض وطالبك بالمزيد .. وليس لك أن تعترض ، وإلا سبّب لك فضيحة أمام مقر عملك أو أمام منزلك ، وعلى مرآى من جيرانك .. وربما احتك بك بطريقة مهينة .. وإذا تدخّل أهل الخير " لفض الاشتباك " ، وجدت من يطلب منك إعطاءه ما يريد ، اتّقاء " للبهدلة " وحفاظاً على " سلامتك " !!.. ويصرّ السائق على أخذ ما يريد ، وألا يتحرك قبل ذلك ، حتى ولو عطّل عدداً من السيارات التي تقف وراءه ، وتزعج المنطقة بأصوات " الكلاكسات " .. فتضطر أنت إلى الاستسلام !!..

وهناك أيضاً بائعو الفاكهة والخضروات ، الذين أصبح التعامل معهم مستفزاً للمشاعر ، وضاغطاً للدّم ، ومضيّقاً للصدور ومعقّداً للنفوس !!.. فالبائع يطلب الثمن الذي يريده لسلعته ، وليس مسموحاً " للزبون " أن يمدّ يده لينتقي ما يريد من الفاكهة أو الخضر .. بمعنى أن البائع يأخذ ما يريد من الثمن ، ويعطي ما يريد من البضاعة !!.. ولقد تفنن هؤلاء الباعة في الغش " للزبائن " .. وكثيراً ما يكتشف " الزبون" هذا الغش بعد وصوله إلى بيته عندما يجد أن معظم الفاكهة التي اشتراها غير التي رآها على عربة البائع !!..

أما ما يحدث في سيارات " الميكروباص " فهو غنيّ عن الوصف أو البيان .. ففيها تسمع ما لا ترتاح له الأذن ولا يستسيغه الذوق من العبارات " السوقية " والخادشة للحياء .. وتسمع من الأغاني الهابطة والضجيج والصخب ما يصيب أذنيك بالأذى ، وسمعك بالضعف .. وترى بعينيك ما يثير الأعصاب ، ويزيد الأوجاع ويضاعف الآلام .. وقد تستمتع بمشاهدة عرض مخيف إذا تنازع سائق مع سائق آخر أو مع بعض الركاب ، حيث ترى " المطاوي والسنج " وهي تشهر في الوجوه أو تطعن في البطون .. والدماء التي تسيل على الوجوه ..وأنت ترتجف وتقرأ الآيات وتكثر من

الدعاء ، حتى ينتهي هذا المشهد المرعب على خير وتنزل بسلام !!.. كل هذه الصور المقلوبة والظواهر السيئة التي أصبحت من سمات مجتمعنا ، سببها انعدام الانضباط ، وعدم وجود من يقوم بالمتابعة الجدّية لاحترام القوانين ، ومحاسبة المخالفين والخارجين على القانون !!..

هذا فيما يتعلق بالانضباط هنا .. في مجتمعنا .. فماذا عن الانضباط هناك ؟!.. والمقصود بكلمة "هناك" أي في البلاد الأخرى " المتقدمة طبعاً " .. وطبعاً تختلف درجات الانضباط من دولة إلى أخرى ، فكل بلد له ظروفه وعاداته وتقاليده ، وكذلك قوانينه ، بل وأحياناً تختلف القوانين في البلد الواحد بين ولاية وأخرى ، كما هو واقع في الولايات المتحدة الأمريكية .. فرغم أنها دولة واحدة ، إلا أن كل ولاية لها قوانينها الخاصة بها .. لكن جميع الولايات تعيش في ظل دستور واحد يلتزم به الجميع .

ويمكنني أن أتحدث عن الانضباط في أمريكا ، حيث أنها من الدول التي أسعدني الحظ بزيارتها والإقامة فيها لفترات متفاوتة .. قضيتها ما بين ولايات نيويورك ونيوجيرسي وأوهايو وكاليفورنيا .. فكيف رأيت الانضباط هناك ؟؟..

حقيقة .. لقد أذهلني ما رأيته من مظاهر الانضباط والالتزام الذي يتقيّد به الجميع ، أو الأغلبية الساحقة من المواطنين ، وحتى المغتربين !!..وكما ذكرت من قبل أنه من طبائع البشر وسنّة الحياة ، أن يختلف الناس في درجات انضباطهم والتزامهم واحترامهم للقانون.. إذن .. فلابد أن يكون للقانون سلطان يحميه ويحافظ على هيبته .. وهذا ما رأيته بالفعل في المجتمع الأمريكي .. فليس هناك استثناء لأي فرد من الأفراد أمام القانون .. وكل فرد يعرف ما لة وما عليه .. كما يعرف أن منصبه أو

ماله لن يستثنيه عند مخالفة القانون ، حتى ولو كان رئيس الجمهورية !!.. ولعلنا سمعنا وقرأنا كما سمع وقرأ العالم كله..عما حدث للرئيس الأمريكي " بيل كلينتون " فيما يتعلق بفضيحته مع الطبيبة الأمريكية " مونيكا " التي كانت تعمل في البيت الأبيض !!.. فإن الرئيس الأمريكي لم يَسْلَمْ من التحقيقات القضائية التي هدّدت مستقبله السياسي ، وظلت جميع القنوات التليفزيونية والصحف تناقش هذه القضية مع أنماط مختلفة من السياسيين والكتّاب والصحفيين والمواطنين العاديين .. وكان كل منهم يدلي برأيه في حرّية تامة .. حتى لو كان يطالب بعزل الرئيس من منصبه أو إجباره على تقديم استقالته.. ولم يستطع الرئيس الأمريكي أن يتحدّى القانون .. بل امتثل للقضاء حتى يقول كلمته !!.. وهكذا فالجميع أمام القانون سواء !!..

وليست هناك سلبية أو لامبالاة بما يحدث للآخرين .. بل إن كل فرد يرى مخالفة أو ارتكاباً لخطأ ما من أي إنسان ، فإنه يتصل بالشرطة ليبلغ فوراً عما رآه .. وفي دقائق معدودة تكاد تعدّ على أصابع اليد الواحدة يتواجد رجال الشرطة أو الإسعاف أو المطافئ.. حسب ما يقتضيه البلاغ ، حتى لو كان الأمر يتعلق بحادث إصابة " كلب أو قطة" !!.. ولهذا ساد المجتمع هناك جوّ من الانضباط الذي يثير الدهشة والإعجاب !!..

فالأوتوبيس هناك يلتزم بالوقوف في جميع المحطات ، ولابد أن يقترب من الرصيف بحيث يستطيع الراكب أن ينتقل من الرصيف إلى درجات سلّم الأوتوبيس دون أن تطأ قدماه أرض الشارع .. ولا يتحرك السائق إلا بعد أن يركب الجميع .. كما أن الركاب المنتظرين على محطة الأوتوبيس ، يقفون في صف .. وكل منهم يحترم حق من سبقه في الصف للصعود أولاً .. ولا زحام ولا اقتحام .. ولا قفز من " الشبابيك " ، وفي داخل الأوتوبيس لا يوجد " كمساري " ، بل يوجد صندوق خاص يضع الراكب فيه الأجر المطلوب .. وللأوتوبيس سلّم آليّ خاص بالمعوّقين يهبط أوتوماتيكياً ليحمل

المعوّق ويرفعه إلى داخل الأوتوبيس .. وللمعوّق الأولوية في الصعود مهما كان ترتيبه في الطابور .. ولا يمكن أن تجد من يجرؤ على إشعال سيجارة ، لأنه سيجد معارضة واحتجاجاً من جميع الركاب والسائق ، وربما أبلغوا عنه الشرطة التي تأخذه على الفور لتوقيع العقاب .. ولأن الناس يعلمون أنه لا تهاون في ذلك ، فهم جميعاً ملتزمون .. ولن تجد فرداً واقفاً على السلّم ، لأن الأبواب تغلق قبل تحرك الأوتوبيس .. وينطبق ذلك على عربات المترو والقطارات !!..

وبالنسبة لنظام المرور .. فإن ما رأيته أثار إعجابي واحترامي .. ففي جميع مفارق الطرق والميادين ، مهما كانت أهميتها ، ومهما كانت كثافة حركة المرور ، فلا يوجد رجل شرطة واحد في هذه الأماكن .. ومع ذلك يلتزم جميع قائدي السيارات باحترام إشارات المرور .. فلا يتحرك أحد إلا عند إضاءة النور الأخضر ، حتى في الساعات المتأخرة من الليل ، حيث تقل حركة المرور إلى درجة كبيرة .. فالالتزام لا يتغيّر !!..

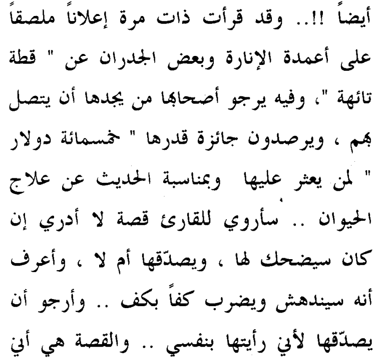
ولا أتذكّر خلال المدة التي قضيتها هناك أني سمعت مرة صوت " كلاكس " لسيارة أو أوتوبيس .. إلا سيارات الشرطة والإسعاف والمطافئ ، والتي يسارع الجميع بإفساح الطريق لها ، أما المشاة من الأفراد ، فهم يعبرون الطريق على خطوط المشاة فقط .. وتراهم يعبرون في هدوء واطمئنان ، وبلا عجلة ، ولا يلتفتون يميناً أو يساراً خوفاً من السيارات ، لأنهم يدركون تماماً أن قائدي السيارات ملتزمون باحترام حق المشاة !!..

ومما يثير الغرابة أكثر ، أن " الكلاب " أيضاً مدرّبة على عبور الطريق على خطوط المشاة !!.. وقد رأيت بنفسي " كلباً " يعبر الطريق وحده على خطوط المشاة ، رغم أن الطريق كان حينئذ خالياً تماماً من السيارات !!.. ولقد حكى لي أحد أقاربي أنه

رأى ذات مرة " كلباً " يعبر الطريق على خطوط المشاة .. وبعد ما عبر ثلث المسافة تقريباً ، تحوّلت إشارة المرور إلى اللون الأحمر، فإذا بالكلب يدور إلى الخلف ويجري مسرعاً عائداً إلى الرصيف ، وانتظر حتى أضاء النور الأخضر ، ثم عبر بعدها الطريق .. حتى " الكلاب " تدرّبت على الانضباط واحترام إشارات المرور !!.. ويبدو أن " بعض " الناس عندنا ممن لا يعرفون الانضباط ، قد بقي أمامهم سنوات طويلة حتى يصلوا إلى مستوى انضباط هذه " الكلاب " !!..

وأرجو من القارئ ألا يتأفف أو يغضب من العبارة الأخيرة ، أو يعترض عليها ، إذ أن الإنسان العاقل لابد أن يكون واقعياً ، وأن يؤمن بالنقد الذّاتي .. فالانضباط من سمات الإنسان المتحضّر الذي يحترم النظام والقانون .. أما الذي لا يحترم النظام والقانون، وكثيراً ما يخالف القانون ، فهو إنسان متخلّف ، ولابد من محاسبته !!..

ومما لاحظته أيضاً في أمريكا ، أنه لا توجد كلاب أو قطط ضالّة في الطرقات .. فكل من هذه الحيوانات له صاحبه وبيته الخاص ، وطعامه الخاص ، وعلاجه الخاص أيضاً !!.. وقد قرأت ذات مرة إعلاناً ملصقاً على أعمدة الإنارة وبعض الجدران عن " قطة تائهة "، وفيه يرجو أصحابها من يجدها أن يتصل بهم ، ويرصدون جائزة قدرها " خمسمائة دولار " لمن يعثر عليها وبمناسبة الحديث عن علاج الحيوان .. سأروي للقارئ قصة لا أدري إن كان سيضحك لها ، ويصدّقها أم لا ، وأعرف أنه سيندهش ويضرب كفاً بكف .. وأرجو أن يصدّقها لأني رأيتها بنفسي .. والقصة هي أني



رأيت إحدى الأمريكيات ، وكانت تحمل " كلباً " لونه أبيض وفي غاية النظافة ، وتضع حول رقبته شريطاً أحمر ، وعلى رأسه وردة حمراء أيضاً ، وكانت تحكي

لصديقتها أنها قادمة لتوّها من عيادة الطبيب .. ووجدتها تتحدّث والألم واضح على قسمات وجهها ، فسألتها عما بها .. فقالت إنها لم تذهب للطبيب لنفسها ، ولكن من أجل " الكلب " .. ولما سألتها كم دفعت للطبيب من أجل الكشف الطبي على الكلب قالت : " خمس وثمانون دولاراً " فكتمت دهشتي ، وسألتها.. ماذا قال الطبيب عن حالة الكلب ؟؟.. فقالت : قال الطبيب : " الكلب نفسيّته تعبانة شويّة لأنه كبر في السن ويحتاج إلى مزيد من العناية والرعاية .. وينصح بعدم تركه وحيداً لفترات طويلة"!!.. فتعجّبت وتذكّرت على الفور منظر الفنان الراحل " نجيب الريحاني " في فيلم " غزل البنات " عندما كان يتحاور مع الموظف" المحترم " الذي كان عمله هو رعاية " كلب الباشا " ، وتذكّرت علامات الدهشة والاستغراب التي كانت تنطق بحسرة " الريحاني " على نفسه ، حيث كان يعلّم ويربّي التلاميذ ، وكان حاله يُرثَى له وقلت في نفسي : يا بخت الكلاب الأمريكاني !!..

وأرجو من القارئ ألا يضيق صدره .. وألا يتحسّر على حاله ، عندما أقول إن محلات " السوبر ماركت " بها أقسام خاصة وكبيرة فيها أنواع متعددة من أطعمة الكلاب والقطط ، بل والفئران التي يهوى بعض الأمريكان تربيتها .. وقد تصيبك الدهشة أيها القارئ كما أصابتني عندما تعلم أني قرأت على علب هذه الأطعمة المخصصة للكلاب والقطط والفئران .. تاريخ الإنتاج وتاريخ انتهاء صلاحية الاستخدام " الحيواني طبعًا !!.. وعلمت أنه إذا ضبطت الجهات المسئولة محلاً به أي طعام من هذه الأطعمة ، وقد انتهت صلاحيته ، فإن صاحب المحل يعاقب قانوناً لهذه المخالفة ، وتذكّرت عندئذ .. القضايا العديدة الخاصة بضبط الأطعمة الآدمية التي انتهت صلاحيتها ، ولم تعد تصلح للاستخدام الآدمي ، وذلك أثناء الحملات المتتالية التي يقوم بها رجال الأمن والرقابة في بلادنا .. كان الله في عونهم .. وفي عوننا أيضاً ! ولنعد إلى مواصلة الحديث عن الانضباط هناك ..

أما عن رجال المرور هناك ، وأسلوب تعاملهم مع قائدي السيارات ، فهو أيضاً يثير الإعجاب والاحترام .. فإذا حدث .. مثلاً.. أن زادت سرعة سيارة عن الحد المسموح به ، فإن سيارة الشرطة تتعقّب السيارة المخالفة .. ويقرأ رجل المرور رقم السيارة المخالفة ، ثم يفتح جهاز الكمبيوتر في سيارته .. وفي ثوان يعرف كل شيء عن السيارة المخالفة وعن صاحبها .. ثم يوقف رجل المرور السيارة المخالفة .. ويخبر قائدها بأنه تجاوز السرعة المسموح بها .. ويسجّل له مخالفة على " رخصة السيارة " .. وعندما يعترض قائد السيارة ، يقول له رجل المرور وعلى وجهه ابتسامة ودودة : إنني آسف .. إنني أؤدّي واجبي .. وإذا لم تكن راضياً فيمكنك أن تلجأ إلى المحكمة .. ثم يقول له في نهاية الحوار ، والابتسامة لا تفارقه : أتمنى لك يوماً لطيفاً !!..

ولا داعي لأن نقارن ذلك بما يحدث من رجال المرور في بلدنا مع قائدي السيارات .. فالأسلوب معروف ولا يحتاج إلى وصف أو بيان ..وكما يقول المثل : " خللي الطابق مستور" !!.. وفي حوار مع أحد المغتربين المصريين في أمريكا قال لي : تصوّر !!.. عندما أكون في سيارتي في طريق وأرى على البعد سيارة شرطة ، فإني أشعر فوراً بالأمان والارتياح ... عندئذ تنهدت تنهيدة طويلة .. ثم قلت له : أما أنا .. فحينما أكون في سيارتي في الطريق في بلدي ، وأرى على البعد رجال المرور ، فإن قلبي" يطب " وأقول في نفسي : اللهم اجعل بيني وبينهم سداً فلا يراني منهم أحد !!..

وهناك أيضاً .. لا ترى مواكب تعطّل المرور .. ولا استثناء لأحد لخرق القانون .. والطريق مقسّم إلى حارات للسرعات المختلفة ، ولمن ينوي الاتجاه يميناً أو يساراً أو للأمام .. كما أن هناك " حارة " خاصة لمرور الدراجات فقط .

والتاكسي في أمريكا " يا عيني عليه " !!.. فهو يتوقف بمجرد أن يشير إليه إنسان ، ثم يدخل الراكب التاكسي .. بعد ذلك يخبر السائق بوجهته فينطلق .. ويصير للراكب من الحقوق أكثر مما للسائق .. فلا يستطيع السائق أن يدخن سيجارة إلا بموافقة الراكب، كما لا يستطيع تشغيل راديو السيارة أو الكاسيت إلا برضاء الراكب ..

وحتى رفع أو خفض صوت الراديو يخضع لموافقة الراكب .. ولا يملك السائق أن يسمح لأحد بالركوب أثناء وجود راكب معه .. كما أن عدّاد السيارة هو الفيصل في تحديد أجر التاكسي .. ولا يجرؤ السائق على طلب أكثر من الأجر الذي حدّده العدّاد ولا يملك السائق الحق في رفض توصيل الراكب إلى مكان يريده ، سواء كان بعيداً أم قريباً..ولابد أن يكون التاكسي نظيفاً من الداخل والخارج، وإلا اعتبر السائق مخالفاً !!

وكل من في السيارات لابد أن يربطوا " حزام الأمان " ، حتى الأطفال ، ولا يسمح لراكب أن يحمل طفله .. وغرامة مخالفة ذلك تحصل فوراً .. وهي أربعون دولاراً في ولاية " نيوجيرسي " وخمس وسبعون دولاراً في ولاية " كاليفورنيا " !!..

أما المستشفيات هناك .. فالإنسانية تتجلّى بأعظم صورها في تعاملها مع المرضى والمصابين !!.. فإذا تعرّض أحد لإصابة أو لحادث إغماء " مثلاً " يسارع كل من رأى الحادث بإبلاغ الشرطة التي يصلها العديد من البلاغات ، ولذلك فإن الشرطة تصل في دقائق معدودة ، ومعها سيارة إسعاف كاملة التجهيز .. وينقل المصاب بكل عناية ورعاية فائقة حيث يستقبله المستشفى دون اشتراط الحصول على أية مبالغ مسبقة .. وكل ما يهتم به المسئولون بالمستشفى هو إجراء اللازم لإنقاذ المريض أو المصاب ، حتى يتم شفاؤه .. ولا يوجد ما يسمّى" بقشيش أو حلاوة الشفاء " كما يحدث عندنا على الإطلاق .. ثم يقدّمون له في النهاية " فاتورة " بتكاليف العلاج أو ترسل له على عنوان بيته .. فإن كان قادراً على الدفع دفع .. وإذا أثبت عدم قدرته على الدفع لم يدفع شيئاً .. ويستطيع المستشفى أن يخصم هذه التكاليف من قيمة الضرائب التي تدفع للحكومة .. إذن .. فالمهم هو صحة الإنسان وسلامته ، قبل الاهتمام بجمع الأموال !!..

وليس هناك بائع يتحكّم في " الزبون " .. ولكن الجميع يحرصون على إرضاء " زبائنهم " ، سواء في المطاعم أو في محلات " السوبر ماركت " أو محلات الأحذية والملابس .. ويمكن للزبون أن يشتري السلعة ويجرّبها لمدة شهر ، فإذا لم تعجبه أعادها

للمحل واسترد ثمنها الذي دفعه دون نقاش !.. وقد رأيت بنفسي سيدة أمريكية دخلت محل أحذية ، وعلا صوتها معترضة ومستاءة ، لأنها اشترت من المحل حذاء ، وارتدته لمدة شهر ، ثم وضعته في " الغسّالة " لتنظيفه ، ولما أخرجته من الغسالة وجدت أن " الفرش " الداخلي للحذاء قد انكمش ولم يعد صالحاً للاستعمال .. فما كان من المسئولين في المحل إلا أن اعتذروا للسيدة ، وطلبوا منها أن تختار حذاء جديداً غيره أو تسترد ثمنه إن أرادت .. وكانوا يرجونها ألا تفقد ثقتها في المحل !!..واختارت السيدة حذاء جديداً آخر وأخذته وانصرفت ، وهم يودّعونها بالابتسامات!!.. وفي ذلك اليوم كنت قد اشتريت زوجين من الأحذية لزوجتي .. ولما عدت إلى القاهرة ، وجدت أن " مقاس " الحذاءين ليس مناسباً.. ونويت أن أجرّب محاولة إرجاع الحذاءين ..في زيارة أخرى .. ولما عدت إلى أمريكا ، ذهبت إلى المحل ، وطلبت تغيير الحذاءين .. وكان قد مرّ على وقت شرائهما عام كامل وشهران .. ولم يعترض أحد .. واستبدلت الحذاءين بغيرهما ، بكل بساطة ويسر!!..وتذكّرت حينئذ تلك اللافتات التي تملأ محلات الملابس والأحذية في بلادنا ، التي كتب عليها بالخط العريض (البضاعة التي تباع لاتسترد ولا تستبدل) !!..

وهكذا يعيش الناس هناك في طمأنينة وراحة بال .. وكل منهم يؤدّي ما عليه في رضى ، ويحصل على حقوقه في يسر وسهولة .. وهذا بفضل الانضباط هناك !!..

وما يجعلني أشعر بالدهشة والاستغراب ، أن هذه البلاد المنضبطة.. حضارتها ، بل وتاريخها لا يزيد على قرنين ونصف من الزمان .. وكان من المفروض أن نكون نحن أكثر تقدّماً و تحضّراً منهم.. فحضارتنا تاريخها " كما نسمع ونقرأ " سبعة آلاف من السنين.. ومع ذلك فمجتمعنا مازال ينقصه الانضباط .. ويعيش في غاية الانبساط!!..

نماذج مُشرِّفة للمغتربين المصريين

ما أهنأ الحياة بعيدًا عن قيود الوظيفة وأعبائها، بعد ترك الخدمة ، وبدء الحياة الجديدة تحت مظلة " المعاش " !!..

لقد أسعدني الحظ بالسفر إلى الولايات المتحدة الأمريكية للمرة الثانية وقد بهرني ما رأيته من النماذج المشرفة للمغتربين المصريين الذين يعيشون ويعملون في أمريكا .. ورغم أن العمل هناك شاق ، ويحتاج إلى راحة واستجمام .. إلا أن بعض المغتربين من المصريين الشرفاء ، لا تطويهم الطموحات والأحلام ، ولا ينسون وطنهم الأم "مصر"حتى الذين يحملون الجنسية الأمريكية منهم ، لم يتخلوا عن جنسيتهم المصرية ، التي تربطهم بوطنهم!!..

هؤلاء الشرفاء يحملون هموم بلدهم ، ويساهمون بالقول والفعل ، وحسن السلوك في المحافظة على كرامة وسمعة بلدهم ، وينشرون ما يخفى من حقائق على الشعب الأمريكي ، ويبددون الأوهام والأكاذيب التي ينشرها الإعلام المعادي لمصر والعرب .. حتى يعرف الناس حقيقة مصر ، وحضارتها وأصالتها ، وليعرفوا حقيقة شعب مصر الطيب المسالم المضياف ، وأنه شعب يعشق السلام ويسعى إليه ، ويحب الخير ويحرص عليه .. شعب لا يُكِنُّ حقداً لأحد ، ولا يضمر سوءاً لمخلوق .



الأستاذ / باهر شعراوى

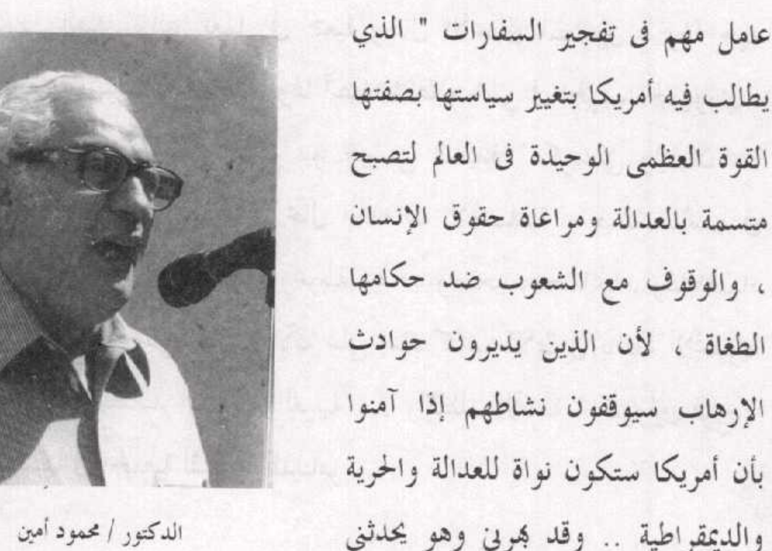
من هذه النماذج المشرفة التي التقيت بها فى مدينة " نيو جيرسى " الأستاذ باهرشعراوي ، رئيس الجمعية المصرية الأمريكية للثقافة بنيويورك ونيو جيرسى .. ذلك الرجل الذى نستطيع أن نطلق

عليه لقب " دينامو "النشاط المصري الوطني بنيويورك ونيو جيرسى .. كما يمكن أن نسمّيه " صوت مصر " .. وهو يتمتع بشخصية اجتماعية جذابة ، وتحس فى محادثته بحب مصر يتدفق بغزارة مع الكلمات من لسانه..وتشعر بالفخر وأنت تسمعه وترى نشاطه الكبير ، وتسعد بأن هناك فى "المهجر " أمثال هذا الرجل ، الذى يعتبر سفيراً حقيقياً لمصر أكثر من أي سفير .. ومن أنشطته خلال الجمعية التي يرأسها ، الاحتفال سنوياً بيوم المصريين .. فى مهرجان رائع تعرض فيه معارض فنية للوحات الفنية والتحف والعاديات الفرعونية والإسلامية ، والأيقونات القبطية ، وكذلك الملابس والتسجيلات الموسيقية المسموعة والمرئية ، والعروض الفولكلورية التي تعبر عن الفن الشعبي المصري .. ويحضر هذه المهرجانات عمدة نيو جيرسى الذي يعبّر عن تقديره لمصر، وللدور الذي يقوم به المصريون فى نيو جيرسي .. وكذلك تحضر سفيرة مصر .

والأستاذ باهر شعراوى ، إضافة الى عمله كخبير فى الضرائب ونشاطه فى رئاسة الجمعية المصرية الأمريكية للثقافة ، فهو أيضاً مذيع ومقدم برامج ناجح فى الراديو والتليفزيون " العربى " فى نيو جيرسي ، وقد استضافني فى برنامج " القافلة " الذي يقدمه بين الرابعة والسادسة من مساء كل أحد بالإذاعة .. ذلك البرنامج الذي يشعر سامعوه بأنهم فى وطنهم مصر ، وكان الحوار الذي أجراه معي عن مصر والفن المصري، والرأي العام المصري والعربي والإسلامي فى حوادث الإرهاب .. وكأنه يريد أن يقول للعالم : المصريون والعرب والمسلمون ليسوا إرهابيين كما يتوهم الكثيرون ، ولكنهم أصحاب قيم و مبادئ ، يعشقون الحق والعدل ، وينشدون للجميع السلام .. والأستاذ باهر شعراوي كثيراً ما يستقبل الوفود السياسية والفنية المصرية .. ويعاون بعض المهاجرين المصريين الجدد ، ويساندهم حتى ينجحوا ويحققوا الاستقرار .

ومن المواقف التي لا تنسى للأستاذ باهر شعراوي .. أنه عندما انتشرت إشاعة مغرضة تقول إن الأقباط فى مصر مضطهدون .. وكانت هناك أصوات معادية لمصر تطالب الكونجرس الأمريكى بقطع المعونات الأمريكية عن مصر .. جمع الأستاذ باهر شعراوي بعض كبار الشخصيات المسيحية الأمريكية ، ومنهم بعض رجال الدين المسيحى.. وسافر بهم الى مصر .. وأتاح لهم فرصة اللقاء الحر بعدد كبير من أقباط مصر فى القاهرة وبعض مدن الصعيد ، كما التقوا بكبار رجال الدين المسيحى فى مصر ، وعرفوا من خلال هذه اللقاءات الحرة أن ما أشيع عن اضطهاد الأقباط فى مصر ما هو إلا أكاذيب ومحض افتراء .. وتأكدوا بأن الشعب المصري كله مسلمين ومسيحيين يعيشون فى ألفة ومحبة .. وعندما عاد هذا الوفد الى نيويورك سارع أعضاء هذا الوفد بإبلاغ أعضاء الكونجرس والشعب الأمريكى بحقيقة ما رأوا بأنفسهم من ترابط الشعب المصري .. وبذلك استطاع الأستاذ باهر شعراوي أن يقهر تلك الشائعات ويبدد آثارها ..

ومن النماذج المشرّفة الأخرى التى التقيت بها .. الأستاذ الدكتور محمود أمين "رئيس تحرير جريدة بلادي " بنيو جيرسي " .. الذي قرأت له مقالاً بعنوان " سياسة أمريكا عامل مهم فى تفجير السفارات " الذي يطالب فيه أمريكا بتغيير سياستها بصفتها القوة العظمى الوحيدة فى العالم لتصبح متسمة بالعدالة ومراعاة حقوق الإنسان ، والوقوف مع الشعوب ضد حكامها الطغاة ، لأن الذين يديرون حوادث الإرهاب سيوقفون نشاطهم إذا آمنوا بأن أمريكا ستكون نواة للعدالة والحرية والديمقراطية .. وقد بهرني وهو يحدثني





الدكتور / محمود أمين

عن أمانيه لمصر ولأبناء مصر ، وأحسست فى كلماته باعتزازه بمصريته ..
والدكتور محمود أمين مع لفيف من أبناء وطنه الأوفياء ، يقومون بدور رائع لإظهار الوجه الحقيقي والمشرّف لمصر وللعرب .ومن هؤلاء المصريين الغيورين على مصريتهم ، الأستاذ جمال زيتون " الذى كتب بحماس عن عبقرية الدكتور أحمد زويل ، العالم المصري، الذي كرّمته أكبر جامعات أمريكا .. وشنّ حملة شعواء على الكاتب المصري الصحفي " أنيس منصور" لأنه كتب مقالاً فى عموده " مواقف " بجريدة الأهرام بتاريخ ١٩٩/٧/١٧ يقتر سماً عن العالم المصري الدكتور أحمد زويل .. وأحسست فيما كتبه الأستاذ جمال زيتون ، بأنه يعبر عن نبض جميع المصريين فى داخل مصر وخارجها .. وأنه يغار على كرامة مصر والمصريين ..فلا فُضَّ فوك يا أستاذ جمال زيتون !! ..

والجمعية المصرية الأمريكية للثقافة تضم فى مجلس إدارتها نخبة من المصريين المخلصين منهم : الكاتبة الشهيرة السيدة / إقبال بركة ، رئيسة تحرير مجلة " حواء " المصرية ، وهى تمثل الجمعية فى القاهرة .. وكذلك الدكتور محمود السعدنى ، الذى كان له الفضل فى تكوين أول فرقة للفولكلور المصري بالولايات المتحدة ، وكذلك السيدة" شيرين العبد " التي تعمل فى جمعية رجال الأعمال المصريين ، ولها جهد ملحوظ فى التعريف بنشاط الجمعية ، ولها أيضاً نشاط سياسي فى الحزب الجمهوري ، وحائزة على شهادة تقدير من حاكم نيو جيرسى السيدة " كريستى وايتمان" .. والسيدة سميرة الفقى، التي تساهم فى مجال الخدمات الاجتماعية ، حيث ساهمت فى حل مشاكل حوالي ستين أسرة مصرية وعربية ، مادياً وصحياً واجتماعياً ، ولها اهتمام خاص بالأطفال العرب وهى تعكف الآن على إتمام كتاب للأطفال باللغة الإنجليزية لتعريفهم بالعادات والتقاليد المصرية والعربية ... وكذلك الآنسة " كارولين فرج " التي يطلقون عليها فى الجمعية لقب " الدينامو" ..

هؤلاء المصريون والنماذج المشرّفة التي يحق لنا أن نفخر بهم يقومون بجهود مكثفة فى الاتصال بالسياسيين وأجهزة الإعلام الأمريكية ، لكشف الدعايات المغرضة التي تثيرها بعض الدوائر المعادية لمصر ، بقصد الإساءة الى العلاقات بين مصر والولايات المتحدة .

هنيئاً لهؤلاء الناس بهذا الإحساس الجارف بالوطنية المصرية ، وهنيئاً لمصر بهم وبأمثالهم .. وكم أتمنى أن تساهم وزارات الإعلام والثقافة والخارجية والهجرة فى الحكومة المصرية فى دعم نشاط الجمعية المصرية الأمريكية للثقافة ، لتشدّ أزر المصريين الشرفاء فيها !!..



الأستاذ / عادل مصطفى   الأستاذ / محسن مصطفى

ومن رجال الأعمال الناجحين الذين التقيت بهم فى نيو جيرسى أيضاً الأستاذ عادل مصطفى ، وأخوه الأستاذ محسن مصطفى اللذان يحتضنان بعض المصريين من المهاجرين الجدد ، ويقفان الى جوارهم بالعون المادى والمعنوى .



الدكتور / إسلام ابراهيم

وفى ولاية " أوهايو " وبالتحديد فى مدينة " كانتون " .. الطبيب المصري الإنسان .. الدكتور " إسلام إبراهيم " ، الذي لم تمنعه ظروف عمله الشاق والذى يستغرق معظم وقته ، من أن يقوم بدور ممتاز فى رعاية بعض المصريين والعرب صحياً .. وخاصة أولئك الذين ليس لهم تأمين صحي ، لأن تكاليف العلاج فى أمريكا باهظة .. وهو يقول : لقد تعرّضت لمواقف صعبة كثيرة فى بداية حياتي فى أمريكا .. تعلمت منها

أنه يجب أن يكون هناك تعاون إيجابى بين جميع المصريين والعرب فى الخارج والدكتور إسلام ابراهيم الذي حصل على درجة الدكتوراه فى الأمراض الباطنة ، ودكتوراه فى الأمراض الصدرية ، ودكتوراه فى العناية المركزة ، يتمنى مع بعض زملائه من الأطباء المصريين المتخصصين فى أمريكا ، أن تتاح لهم الفرصة للمساعدة فى علاج بعض الأسر المصرية فى فترة ما كل عام فى المستشفيات المصرية ، فهل تستجيب لهم الحكومة المصرية ووزارة الصحة فى تسهيل هذه المهمة الوطنية والإنسانية لهم ؟!..

والدكتور إسلام ابراهيم يبذل أيضاً جهوداً كبيرة فى نشر الدعوة الإسلامية وشرح حقيقة الإسلام وسماحته أثناء خطب الجمعة والكلمات التي يلقيها فى الندوات التي تنظم فى عدة ولايات أمريكية ، كما ينظم هو وزوجته المصرية ، دروساً فى اللغة العربية والدين الإسلامي لأبناء العرب والمسلمين الأمريكيين بالمجان .

ومن الشخصيات التي لها دور بارز أيضاً فى نشر الدعوة الإسلامية فى " لونج ايلاند " الأستاذ ابراهيم الكيلانى ، وهو من رجال الأعمال المعروفين بكرمهم واستقبالهم لكبار الشخصيات المصرية التي تزور أمريكا .. وبعض رجال الدين وكان فضيلة الإمام الراحل الشيخ محمد متولى الشعراوى ممن يزورنه ، والأستاذ ابراهيم الكيلانى كثيراً ما يتبرع بالأموال الكثيرة في مجال الدعوة الإسلامية ..

وفى مدينة " لوس أنجلوس" بولاية كاليفورنيا .. التقيت بنموذج آخر مشرّف هو الأستاذ الدكتور راشد الياس ، الذي يعتبر مثلاً رائعاً للمصري المكافح الطموح ، الذى أثبت أن العقل المصري والإنسان المصري لا يقل كفاءة أو ذكاءً عن الإنسان الأمريكى أو الأوروبى — إن لم يتفوق عليه— فقد استطاع الدكتور راشد الياس ، بعد كفاح وصمود أن ينشئ معهداً متقدماً ومتميّزاً يسمّى " معهد نوفا" وأصبح له عدة فروع .. ولقد صحبنى الدكتور راشد الياس لنتفقد أقسام المعهد ، فرأيت فيه ما جعلنى أشعر بالفخر والزهو .. وشاهدت أقساماً مستقلة للدراسات الآتية : قسم

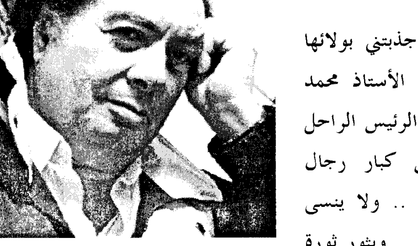
تخريج مساعدى الأطباء البشرين – قسم تخريج مساعدى أطباء الأسنان – قسم الأشعة الطبية " X " – قسم إنتاج الجرافيك " أوديو / فيديو " – قسم المحاسبة الطبية – قسم إدارة الأعمال – قسم الاتصالات – قسم السباكة والصرف – قسم الهندسة الكهربائية – قسم تجميل وتصفيف الشعر – قسم المعامل الطبية – قسم الأعمال المعملية – قسم الآشعة فوق الصوتية – قسم إنتاج ومونتاج الفيديو والإعلانات التليفزيونية " الصوتيات والمرئيات " – قسم دراسات الكمبيوتر " تعليم وصيانة " ..

دكتور / راشد إلياس

الفنان / حسام الدين مصطفى

والدكتور راشد إلياس يؤمن بأن العقل المصري يفوق ما عداه من العقول ، إذا ما وجد بين يديه الإمكانيات وهيأت له الظروف المناسبة ..وما أثار إعجابي بالدكتور راشد الياس ، هو احتضانه للنابغين من أبناء وطنه ، وتشجيعهم ومساعدتهم على إظهار طاقاتهم وعبقرياتهم.. وكم سعدت عندما رأيت بالمعهد شاباً مصرياً وصفه الدكتور راشد إلياس بأنه من المصريين العباقرة .. وشجعه حتى أصبح مدرّساً يدرّس الكمبيوتر بالمعهد ، وهو أيضاً المسئول عن استوديو التسجيلات الصوتية والتصويرية ، وأعمال الدعاية والإعلانات التليفزيونية التي يصمّمها ويخرجها بنفسه ، ويضع لها الموسيقى التصويرية ويقوم بتوزيعها .. ذلك هو الفنان الموهوب الأستاذ حسام الدين مصطفى، الذى يتمتع بالعديد من المواهب الفنية .. فهو الى جانب تدريسه للكمبيوتر ، فهو عازف ماهر على العود ، وموّزع موسيقي ، وملحن ومطرب ، ورسام وخطاط ،

وهو مشهور فى نيويورك ونيوجيرسى ولوس أنجلوس ولاس فيجاس .. وله من المواقف الإنسانية والشهامة المصرية مع أبناء بلده والعرب بصفة عامة ما جعله محبوباً من الجميع .


الأستاذ / محمد عباس

وشخصية مصرية أخرى جذبتني بولائها العظيم لمصر .. شخصية الأستاذ محمد عباس .. وهو ابن شقيقة الرئيس الراحل محمد نجيب ، وهو من كبار رجال الأعمال فى لوس أنجلوس .. ولا ينسى مصر ودائماً يتحدث عنها .. ويثور ثورة عارمة إذا سمع أحداً من غير المصريين ينتقد مصر أو شعب مصر .. وهو لا يدخر وسعاً فى مساعدة المصريين المهاجرين مادياً وأدبياً .. ولقد أكرمني غاية الإكرام بمجرّد أن وجدني أتحدث عن مصر بحماس شديد ، وأصبحنا صديقين عزيزين !!. هذه الصور الرائعة والنماذج المشرّفة للمصريين المغتربين ، جعلتنى أتذكر تلك المقولة الخالدة التي قالها الزعيم الوطنى خالد الذكر " مصطفى كامل " .. (لو لم أكن مصرياً لوددت أن أكون مصرياً) ..

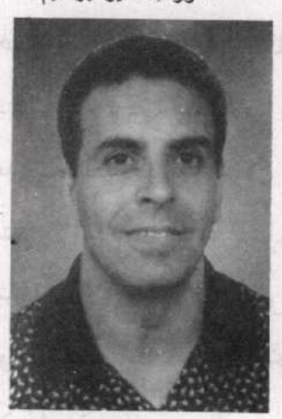
وكم أتمنى أن تتنبه حكومة مصر الى أهمية المصريين المغتربين وأن تعيد النظر فى وزارة الهجرة التي ألغيت وضُمّت الى وزارة القوى العاملة لتعود وزارة مستقلة ، ولكن على أن تقوم بدورها كما يتمناه المصريون المغتربون .. ولتكن هذه صرخة مكتومة يصرخها المصريون فى الخارج .. وليت المسئولين فى مصر يستجيبون لهذه الصرخة !!..

هذه بعض النماذج المشرفة التي التقيت بها فى الولايات الأمريكية التي زرتها .. ولابد أن هناك نماذج مشرفة أخرى فى ولايات أخرى ، بل وفى دول أخرى من العالم ،

يمكن تسليط الأضواء على أدوارهم وإنجازاتهم ، إذا ما كانت هناك وزارة ترعاهم ، ويعمل بها أناس مخلصون وفاهمون لدورهم ..


دكتور / سمير ابراهيم

وفي بعض الدول الأخرى ، على سبيل المثال لا الحصر ، قرأنا عن الدكتور سمير ابراهيم ،وهو أول مصري يعالج بالإبر الصينية في لندن ، ويلقي محاضرات في عدة دول في مجال تخصصه .. وفي هولاندا هناك شخصية مصرية معروفة بنشاطها السياحي والاجتماعي في أمستردام ، هو الأستاذ مجدي أبو الدهب ، ومشهور هناك باسم مجدي الشيخ ، وهو صاحب شركة النيل للسياحة " نايلز ترافلرز كلوب " ، ويأتي بالأفواج السياحية بين الحين والآخر ويصحبهم بنفسه ليطلعهم على عظمة مصر، وهو رئيس الجالية المصرية بأمستردام وله نشاط اجتماعي كبير هناك .. وكذلك أخوه رجل الأعمال المعروف في أمستردام الأستاذ محمد المشهور باسم شريف مصطفى ، وكم من المصريين الذين استقروا في هولاندا بمساعدتهما .. وغيرهم كثيرون .


الأستاذ / مجدى الشيخ

ولتعلم الحكومة المصرية أن هؤلاء الشرفاء يمكن أن يؤدوا لمصر أكثر مما يؤديه السفراء المعيّنون .. إنهم سفراء بولائهم وإحساسهم بالانتماء لوطنهم

وفى النهاية باسم مصر وشعب مصر وحكومة مصر ، أقدم التحية والتقدير لهذه النماذج المشرفة من المصريين المغتربين ..


الأستاذ / شريف مصطفى

العربيات المتأمركات في أمريكا !!..

يقول الله تعالى :{الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّساءِ }"٣٤ –النساء"
ومعنى قوله تعالى ، أن الرجال هم أولياء الأمور بالنسبة لنسائهم ، وذلك لأن الله تعالى قد أعدّ الرجل إعداداً يعينه على تحمّل عناء العمل والسعي على الرزق ، والصبر على مشاق الحياة ، أكثر من المرأة .. ولقد كرّم الله سبحانه وتعالى المرأة ، وخصها بأعظم وظيفة في الحياة ، وهى تربية النشء وإعدادهم إعداداً إسلامياً وتربوياً ، حتى يكونوا رجالاً ونساءً يعرفون الله حق المعرفة ، ويلتزمون بما أمر به ، وينتهون عما نهى عنه .. ويعرفون أن الغنى في القناعة ، وأن الحلم هو الشجاعة ، وأن الاعتصام بحبل الله هو الحماية والمناعة ، فينشأ بذلك المجتمع المتكامل المترابط الذى يعمّه الخير والأمان ، وينتشر فيه الحب والسلام .. وصدق الحكيم الذى قال : " الأم مدرسة إذا أعددهّا أعددت شعباً طيب الأعراق "!!.. وإزاء هذه الوظيفة العظيمة والرسالة السامية التي خصّ الإسلام بها المرأة المسلمة ، فإن الله تعالى قد أعفاها من مسئولية العمل وتحمل مشاقه ، إلا فى حالات الضرورة ، وأسند هذه المهمة للرجل الذى أعانه على أدائها بقوة الجسد والقدرة على تحمل المشاق ، حتى يوفر لأسرته المعيشة الهانئة والحياة الكريمة .

ونجد هذا التكليف من الله تعالى للرجل .. عندما أغرى إبليس آدم عليه السلام بأن يأكل من الشجرة التي نهاه الله عنها .. وخدعه الشيطان .. بعد أن حذره الله تعالى من كيد إبليس ، في قوله تعالى :{ فَلاَ يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى } "١١٧ – طه " ، ونلاحظ في لفظ " يخرجنّكما " أن المقصود بالمثنى هو آدم وحواء معاً ، حيث يخرجهما إبليس من الجنة بعصيانهما لأمر ربهما .. كما نلاحظ في كلمة " فتشقى " أن الشقاء هنا الذي يقصد به العمل في الأرض منوط به آدم وحده .. لأن الله تعالى لم

يقل " فلا يخرجنّكما من الجنة فتشقيا " ، ولكن قال : { فلا يخرجنّكما من الجنة فتشقى } ، كما قال تعالى مخاطباً نساء المسلمين :{ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ } " ٣٣- الأحزاب ".. إذن.. فالرجل مكلف بالعمل والإنفاق ، وله القوامة على المرأة .. والمرأة مكانها البيت .. ورسالتها الأساسية أن تكون للرجل سكناً .. أي راحة وتخفيفاً له ، وأمومة وحناناً لأطفالها وتربية لهم .. وعليها أن تطيع الرجل فيما يرضي الله ويصلح حال الأسرة ، وأن توفر له ما يعينه ويريحه .. وتجنبه ما يعوقه أو يضايقه .. هذه هي مهمة كل من الرجل والمرأة في الإسلام الذي أعزّ المرأة ورفع مكانتها وحفظها من التبذل ، وصانها من المهانة والانحطاط !!..

ولا أدري لماذا تغيب هذه الحقائق الإسلامية العظيمة ، والتوجيهات الإلهية الكريمة ، عن أذهان الكثيرات من نساء المسلمين في هذه الأيام ، وخاصة المغتربات منهن في دول أوربا وأمريكا حيث تتغير أفكارهن ، وتتحول تدريجياً عاداهن الإسلامية ، فيرفعن الحجاب، ويخففن الثياب .. ويستبدلن اللغات ، ويقلّدن الأجنبيات ، في القول والحركات والعادات .. فيختلط الأمر على من يراهن ، ولا يصدّق أهن كنّ يوماً مسلمات أو عربيات !!..

ومما يدعو للأسى والخجل ، أهن ينسين أو يتناسين حقوق المرأة وواجباها التي شرعها الله في الإسلام ، ويتمسّكن بحقوق المرأة في بلاد أوربا وبلاد العم سام !!..

ومن مصيبة المصائب أهن كثيراً ما يلمّحن لأزواجهن ويذكّرهم بحقوقهن ، بحكم القانون الأوربى أو الأمريكى ، الذي يعطي المرأة الحق فى نصف ما يملكه الرجل عند الطلاق .. وكذلك نصف راتبه .. وتكاليف نفقات أولاده ، كما يذكّرن أزواجهن بين الحين والآخر بأن الرجل لا يستطيع أن يضرب المرأة أو يعاقبها على نشوزها، كما جاء في شريعة الإسلام .. وإلا أدخلته السجون ، أو أَوْدَت به إلى الجنون !!..

هذه التلميحات ، أو على الأصح " التهديدات " التي تلوّح بها المرأة بين الحين والآخر ، قد جعلت الرجل يخشى المرأة ، ولا يشعر تجاهها بالأمان .. ويتوقع الغدر منها لأتفه الأسباب .. ولا يحسّ بأنها السّكن والمودة والهناء .. بل يرى فيها القلق والغدر والعناء !!..

وكثيراً ما كانت المشاحنات تنشب بين الزوجين .. وأثناء ذلك يخرج كل منهما ما في صدره ، فتظل المرأة تهدّد وتتوعّد .. فتدفع الرجل الى قضاء معظم وقته يرسم ويخطط .. كيف يتخلص من هذا الحلم الكئيب والكابوس الرهيب الذى يقلق منامه ، ويبدّد أحلامه.. وينظر الرجل الى المرأة على أنها قنبلة موقوتة يمكن أن تدمّر حياته في لحظات!!.. وبذلك يخلو البيت من الإحساس بالأمن والأمان ، وتختفي السعادة الحقيقية من الزمان والمكان !! ..

وكم من الزيجات التي فشلت بسبب هذه التغيّرات التي طرأت على النساء المغتربات !!.. وأقول لهؤلاء النسوة من المسلمات المغتربات : أفقن قبل أن تجدن أن الأوان قد فات .. واخلعن تلك النظارات الكاذبات التى تريكنّ الحياة في المهجر أسوأ من الممات.. وقبل أن يقترب الزمام من الإنفلات !!..

وأذكّر الآباء والأمهات .. بالأولاد والبنات .. وأقول لهم : ماذا تساوي دموعكم إذا ضاع في هذه الأجواء أطفالكم ؟!.. وبماذا يفيد ندمكم إذا انغمس في الجنس والمخدرات أولادكم ؟!.. أو إذا هربت مع " البوى فريند " بناتكم ؟!.. ماذا يكون موقفكم لو أن إحدى بناتكم أبلغتكم أنها قررت أن تهجر منزلكم ، لأنها من " البوى فريند " حامل ؟!.. وماذا ينفعكم إذا عضدتم الأنامل ؟!.. هل يستطيع أحد منكم أن يمنعها .. أو يجرؤ ساعتها أن يصفعها ؟!.. ومهما يحاول الأب المسكين بالوعظ والنصح أن يهديها .. ومهما تحاول الأم أن تغريها .. فلا تقتنع ، " والقانون الأمريكى يحميها " !!.. ويندم حينئذ الأبوان .. وبمرارة الندم يشعران !!..

وليت المسئولين عن المراكز الإسلامية في بلاد المهجر ، يفكرون ويتّحدون ويطالبون بإنشاء محاكم خاصة للأحوال الشخصية للفصل في التراعات الزوجية بين المسلمين ، بحسب ما تقتضيه الشريعة الإسلامية وخاصة في حالات الزواج التي تتم بالطريقة الإسلامية ، حتى نحافظ على الأسر المسلمة ونصونها من التمزّق ، ونقلّل من حالات الطلاق التي انتشرت ، ولتزيل أسباب القلق لدى الأزواج ، ونحمى الأطفال من الضياع !!..

لماذا نضع على وجوهنا أقنعة أجنبية الصنع .. تغيّر الحقيقة أمامنا .. ونرتدي أثواباً تعرّي أجسادنا .. وننصهر في مجتمعات تنسينا تقاليدنا وقيمنا .. وتحجبنا عن تعاليم ديننا .. فنخسر دنيانا وآخرتنا ؟!..

فلتعيشوا أينما تريدون .. ولكن بتقاليدكم التي عليها تحافظون.. وبتعاليم دينكم لأولادكم تربّون .. وتمسّكوا بحقوق الرجل والمرأة في الإسلام .. فبها فقط تهنأون وتسعدون .. وبجنات ربكم تفوزون .. واعلموا أنى أدعوكم إلى النجاة .. وخلاصة حديثى ومنتهاه.. أن " من فات قديمه تاه " ولا حول ولا قوة إلا بالله !!..

إلى الابن .. الذي هاجر وهجر !!

كنت أجلس على شاطئ رأس البر الذي أعشقه واعتدت أن أقضي فيه شهر سبتمبر من كل عام .. حيث نستنشق الهواء النقي العليل ، بعيداً عن هواء القاهرة الذي أصبح ملوثاً بمخلفات المصانع وعوادم السيارات .. كما أني أفضّل شاطئ رأس البر على غيره من الشواطئ لهدوئه حيث يساعد على الاستجمام .. ويجعلني أستعيد أجمل الذكريات عندما كنت أجلس مع أولادي وأسعد برؤيتهم يلعبون أمامي في رمال الشاطئ يبنون الأهرامات ويرسمون على الرمال ويجرون إلى مياه البحر حيث يستمتعون بالسباحة والغطس .. وأنا أنظر إليهم وأشعر بمنتهى السعادة ، وأتمنى أن أراهم وقد تخرجوا جميعاً من الكليات وتقلدوا المراكز العالية !!..

وبينما أنا جالس في سعادة هذه الذكريات ، وأحتسي كوباً من عصير الجوافة ، إذا برجل كبير السن يستأذنني في أن يجلس بجواري وتحت مظلتي .. فوافقت على الفور ، وقرّبت له كرسياً ودعوته للجلوس ، وصببت له كوباً من عصير الجوافة ، فتقبله شاكراً .. ونظرت إلى الرجل في تأمل ، وأحسست أن بداخله هماً يؤرّقه .. أو حزناً يقاسيه .. وكان يبدو عليه أنه جاوز السبعين من العمر .. وانتظرت وتمنيت أن يفصح عن الأمر .. ونظر الرجل إلى كتاب كان على المنضدة ، وكان عنوانه : " دمار أمريكا قادم قادم .. في الكتب السماوية " .. فاستأذن أن يلقي نظرة على الكتاب ، فناولته إياه .. ونظر إلى الغلاف الأول ثم إلى الغلاف الأخير ، فوجد صورة فحملق فيها ثم قال : هل هذه صورتك ؟ فقلت : نعم .. فقال : إذن أنت مؤلف الكتاب .. فقلت : نعم.. وفتح الرجل الكتاب ووقع بصره على كلمة بعنوان : " كلمة حق لابد أن تقال " ، وقرأها.. ثم قال : واضح من هذه الكلمة أنك سافرت إلى أمريكا أكثر من مرة .. فقلت : نعم . قال : هل لك فيها أبناء ؟ .. قلت : نعم . قال : ماذا

يعملون هناك ؟ .. فقلت : أكبرهم " إسلام " وهو طبيب كبير في مدينة كانتون بولاية أوهايو ، والثاني " حسام الدين " وهو فنان ويعمل في مجال الكمبيوتر بمعهد نوفا بمدينة لوس أنجلوس بولاية كاليفورنيا ، و " عماد الدين " .. وهو يعمل في مجال التجارة بمدينة لوس أنجلوس أيضاً .. أما الابن الرابع والأخير فمازال في القاهرة ، وربما يسافر قريباً ليكون مع إخوته .. فسأل الرجل : وكيف يقابلونك ؟ وكيف تشعر وأنت معهم؟ .. فدهشت لهذا السؤال ، إذ أنه من البديهي أن يقابل الأبناء أباهم بكل ترحاب.. وأن الأب سيشعر قطعاً بكل السعادة وهو معهم !!.. ومع ذلك أجبت الرجل قائلاً : إنهم يقابلونني بترحيب وفرح .. أما ما أشعر به وأنا معهم فهو قمة السعادة والارتياح .. فقال الرجل: وماذا يفعل معك ابنك الطبيب ؟ .. ورغم دهشتي أيضاً من هذا السؤال ، إلا أني أجبته قائلاً : إنه يبذل أقصى جهده لكي يسعدني رغم ضيق وقته ، وكذلك زوجته التي تفعل المستحيل لإرضائي وتغرقني بالهدايا . أما حسام الدين ، فرغم كثرة مشاغله بأعمال الفن والكمبيوتر إلا أنه لا ينسى واجبه نحوي ، فهو يأخذني إلى كل أماكن الترفيه ، وإن وفاءه الكبير لي ، وحسّه المرهف وعطاءه الزائد ومحاولاته الكبيرة لإسعادي تجعلني أنسى الدنيا بما فيها من معاناة ومشاكل .. وأظل أدعو له ليل نهار .. وهنا نظرت إلى الرجل فوجدته وقد سرح بفكره بعيداً ، وكأنه ليس معي .. وإذا بي أرى عينيه وقد اغرورقتا بالدموع .. ثم بدأت تنهمر الدموع على وجنتيه .. فتوقفت عن الكلام ، وسألته : ماذا حدث ؟ .. هل ذكّرك كلامي بشيء يؤلمك ؟ .. وفوجئت بالرجل الكبير ينفجر في بكاء يبدو أنه كان يقاومه فلم يستطع .. وكلما حاولت أن أهدّئه كان بكاؤه يشتد .. فتركته برهة .. حتى خف بكاؤه وسكت بينما استمرت دموعه تنهمر على خدّيه.. وقلت في نفسي : لابد وأن هذا الرجل يعيش مأساة كبيرة هي سبب كل هذا الحزن والبكاء !! .. وبعد أن هدأ تماماً قدّمت له كوباً آخر من عصير الليمون الذي كنت أحرص على وجوده معي على الشاطئ إلى جانب عصير الجوافة .. وبعد أن فرغ الرجل من تناول عصير الليمون ..

لم أُرِدْ أن أسأله عن شيء حتى لا أسبب له ألماً .. وتمنيت أن يتكلم هو .. وكنت في غاية الشوق لمعرفة مأساة هذا الرجل الذي تأثرت كثيراً ببكائه .. وما هي إلا لحظات حتى تنهد الرجل تنهيدة طويلة كان لها صوت يشعر سامعه بالألم والأسى .. وكأنها صادرة من بركان ملتهب في باطن الأرض على وشك الانفجار .. وهز الرجل رأسه ثم قال : لعلك تندهش وتتساءل عن سبب هذا البكاء والحزن الشديد !!.. وكان سكوتي أبلغ من الرد عليه .. وقال الرجل : عندما كنت تتحدث عن أبنائك وترحيبهم بك وإحساسك بالسعادة وأنت معهم .. تذكرت ابني الوحيد الذي يعمل طبيباً ، وللمصادفة .. في أمريكا أيضاً .. وهو السبب فيما أعانيه من آلام .. فقلت له : وكيف ذلك ؟!..فقال الرجل وهو يجول بفكره في الماضي البعيد وكأنه يحاول استعادة ذاكرته .. ويتنهد بعمق .. قال : كانت إرادة الله أن يرزقني بهذا الولد .. وأن يكون هو الأول والأخير .. إذ لم يرزقني الله بغيره .. وحمدت الله على ذلك .. وكان أملي الكبير في حياتي أن أراه طبيباً .. وأن يطيل الله في عمري حتى أراه طبيباً شهيراً يشار إليه بالبنان.. وبذلت كل ما أستطيع ، وحرمت نفسي من الكثير وضحّيت بالكثير من أجل أن يتحقق الأمل ويقف على قدميه ، ولا يحتاج إلى أحد .. وكانت معظم أحلامي سواء في النوم أو في اليقظة تدور حول مستقبله الذي كان يشغل بالي .. ومرّت الأيام والسنون وحقق الله الأمل .. وأصبح طبيباً كما تمنيت .. ولم أعارض في سفره إلى أمريكا رغم حاجتي إلى وجوده إلى جواري .. ولكني آثرت أن يحقق ما يحلم به من آمال وطموحات .. وسافر وتمنيت له النجاح والتوفيق ..

وفكرت في أن أبحث له عن فتاة مصرية يتزوجها كي تساعده على ارتباطه ببلده وأهله .. وكان لي صديق عزيز تربط بيننا صداقة خالصة وأخوّة في الله .. وكان رجلاً يخاف الله .. ورأيت له ابنة .. وقلت في نفسي : إن هذه الفتاة لابد وأن تكون قد تأثرت بأخلاق أبيها .. واعتقدت أنها المناسبة لتكون زوجة لابني الوحيد .. وقلت إنها ستساعد على تقوية روابط المعرفة والصداقة والأخوّة بيني وبين أبيها .. وطلبتها

من أبيها الذي رحّب على الفور .. وتم الزواج .. ولكن بدلاً من أن يقترب ابني من بلده أو أهله ، بدأ يبتعد شيئاً فشيئاً حتى نسي أهله .. بل نسي أباه الذي سخّر عمره كله لتربيته والحرص على مستقبله .. وللأسف كانت الزوجة التي أسأت اختيارها سبباً في تحطيم الصداقة وتمزيق الأخوّة التي كانت تربط بيني وبين أبيها .. ولم يبق بيننا إلا الجفاء .. ولم أشأ أن أفاتح أباها في مساوئها رأفة به حيث كان يمر بأزمة صحية ونفسية وخشيت أن أزيد آلامه .. أما عن ابني الوحيد ، فلم يعد يسأل عني إلا كما يسأل إنسان عن أحد معارفه القدامى .. ورغم مروري ببعض المحن وأوقات الشدائد ، فلم يقف بجواري في شدّتي، وتبدد إحساسه ، ولم أجد منه إلا الجفاء والجحود ، مما صدمني وأمرضني وحوّل الآمال إلى آلام.. والأحلام السعيدة إلى كوابيس مخيفة .. مما اضطرني إلى شطب اسمه من قاموس حياتي .. وأصبحت لا أريد أن أراه أو يراني .. ولن أغفر له مجافاتي ونسياني حتى ولو عاد وسجد أمامي وذرف من عينه بدلاً من الدمع دماً ، فإن الشروخ التي أصاب بها قلبي لن تندمل ، والجروح التي أصابت مشاعري لن تلتئم إلى أن أترك هذا العالم بما فيه من نكران وجحود وعقوق .. وسيعرف ابني يوماً أن امرأته لم تكن بشير خير ولكنها نذير شر ، ولن تكون سبب هناء بقدر ما ستكون مصدر شقاء .. وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال : " يابن آدم ، افعل ما شئت، كما تدين تدان " .. وهنا رأيت دموع الرجل تنهمر بغزارة من جديد .. فقلت له : هوّن على نفسك يارجل ، فهذه إرادة الله .. فاندفع الرجل غاضباً وقال : لا .. لا تقل إرادة الله .. ولكن قل : كان ذلك في علم الله .. لأن الله لم يأمر بعقوق الوالدين .. بل بالإحسان إليهما .. وقَرَن ذلك بعبادته وعدم الإشراك به ..فقال تعالى " (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً) " ٢٣- الإسراء " ، فقلت للرجل : على أي حال ، ليس لنا إلا أن نسلّم الأمر لله ونصبر .. وكن متفائلاً، ولا تَدْعُ على ابنك ، بل ادْعُ له بالهداية والرشاد لعله يعود ويصلح ما أفسده !!.. فاندفع الرجل مرة ثانية وقال : أنا ؟ ! أنا أدعو على ابني ؟!..

كيف أدعو على ابني وهو فلذة كبدي وقطعة مني ؟!.. وكان يوماً قمة الأمل عندي ؟!.. بل إني أدعو له بالهداية والرشاد وعفو الله له .. ولا أملك إلا أن أسامحه .. ولكني أخشى عليه عقاب الله في الدنيا والآخرة ، لأن كل الذنوب قد يؤخّر الله عقابها إلى الآخرة ، أما عقوق الوالدين فلابد أن ينال الأبناء جزءاً من عقابها في الدنيا .. وأنا أشفق على ابني من هذا العقاب . فقلت : الحمد لله الذي جعل رحمته في القلوب حتى تغفر للأبناء كبائر الذنوب .. ثم قلت للرجل : هل تسمح لي أن أكتب عن هذا الموضوع في كتاب" صرخات مكتومة " ؟ .. فقال الرجل : أوافق بشرط ألا تفصح عن اسمي أو اسم ابني حتى لا يشعر بأني جرحته أو أسأت إليه .. فقلت له : لك ذلك .

وهأنذا أكتب ما دار بيني وبين الرجل الكبير من حوار ، ودون ذكر أسماء كما أراد .. ولعل هذا الموضوع يكون عبرة وعظة للأبناء والآباء على السواء ، كما أرجو أن يكون عظة كذلك لذلك الابن الطبيب ، فيعود إلى رشده ، ويعرف حق أبيه ، ويعود إليه طالباً صفحه .. ولعل الله تعالى يتقبل منه التوبة !!..

لغتنا الجميلة ... إلى أين ؟!..

لا أدرى ماذا جرى للشعوب العربية بصفة عامة ، حتى يتنكروا للغتهم القومية التي نزل بها القرآن الكريم ، والتي تعتبر من أهم الروابط التي تربط بين الشعوب ؟!.. هل هي عقدة " الخواجة " ؟!.. أم ماذا ؟!..

إن الشعب الذي يعتزّ بلغته ، ويصرّ على استخدامها دون غيرها إلا عند الضرورة ، هو شعب يحترم نفسه ويحترمه الآخرون .. ثم إن الإصرار على استخدام اللغة القومية يساعد على تقوية الروابط ، وتنمية الثروة الثقافية بين المتحدثين بها ..

ومن بين الشعوب التي تعتز بلغتها ، ونادراً ما تستخدم غيرها.. الشعب الألماني .. فالأفراد هناك يحرصون كل الحرص على التحدث بلغتهم .. وبعضهم لا يجيب على سؤال بغير لغتهم .. ومعظم الشعوب الشرقية والغربية كذلك .. أما نحن العرب .. فكثيراً ما تتخلل أحاديثنا بعض العبارات والاصطلاحات الأجنبية وبصفة خاصة باللغة الإنجليزية أو الفرنسية مثل عبارات : **Sorry – Hello – Bye – Hi –**
Happy Birth Day to You – Any Way – Impossible
Incredible – Pardon – Mercy – Oh My God –
والغريب أن مثل هذه العبارات وغيرها ينطق بها الإنسان العربي وهو يتحدث مع إنسان عربي آخر !!.. وفي بلد عربي !!.. ولو أننا تحدثنا بها مع أجانب لا يعرفون لغتنا، لكان ذلك مقبولاً .. ولكن أن نتبادل هذه العبارات الأجنبية فيما بيننا نحن المصريين أو العرب .. وفي بلادنا ، فهذا ما يدعو إلى الدهشة .. بل إلى الخجل .. مما يعتبر " عيباً " كبيراً !!..

لماذا نهرب من لغتنا ، وهي أجمل لغات العالم ؟!.. وبارك الله في الأستاذ فاروق شوشة الإذاعي المعروف ، والشاعر الكبير الذي يقدم برنامج " لغتنا الجميلة " في الإذاعة المصرية ويبين ما فيها من جمال ، باعتبارها من أرق اللغات وأعذبها ، وأقربها

وصولاً إلى العقل والوجدان ، وهي مليئة وغنية بألفاظها ومفرداها ، ومترادفاها .. كما تعتبر من أطوع اللغات للتعبير عن الأحاسيس والعواطف، مما لا يتوفر للغات الأخرى !!.. وهناك مثل كردي يقول " " الغريب الذي يتحدث بلغتي أعزّ عندي من أخي في الوطن الذي يجهلها أو يتجاهلها " !!..

وأذكر أنني كنت ضيفاً في برنامج " على الناصية " الإذاعي الذي تقدمه الإذاعية المعروفة بلباقتها ، السيدة آمال فهمي ، وذلك في صيف عام ١٩٧٨، وكنت حينئذ مدرساً للغة الإنجليزية ، ومع ذلك علّقت على ذكرها عبارة " ميرسي " وقلت لها : لن أقول " مدام آمال" ، بل سأقول " السيدة آمال أو الأستاذة آمال " ، وذكرت لها أنه يجب علينا أن نعتزّ بلغتنا وألا نستخدم غيرها إلا إذا كنا نتحدث مع أجانب لا يعرفون لغتنا ..وقلت : إنني رغم كوني مدرساً للغة الإنجليزية منذ سبعة عشر عاماً " حينئذ " إلا أني علّمت أولادي الاعتزاز بلغتنا القومية ، فلا يقولون لأعمامهم وعمّاهم " أونكل أو تانت " .. بل يقولون " عمّي وخالي وعمّتي وخالتي " . وأصبحوا الآن من عشّاق اللغة العربية ، رغم أهم يعيشون الآن في الولايات المتحدة الأمريكية ، ومنهم من يخطب لصلاة الجمعة هناك باللغتين العربية والإنجليزية ، ومازالوا يعتزّون بلغتهم !!

إنني لست ممن يغالون ويطالبون بعدم تعليم اللغات الأجنبية .. بل أشجع على أن نتعلم أكبر قدر من اللغات الأجنبية .. ففي ذلك فوائد كبيرة لا تخفى على أحد .. والرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يقول : " من تعلّم لغة قوم أمن مكرهم " .. وفي هذا الحديث الشريف دعوة واضحة لتعلّم اللغات الأجنبية .. ونحن في حاجة إلى مزيد من تعلّم لغات الآخرين .. ولكن بشرط ألا يكون ذلك على حساب لغتنا " الجميلة " !!..

ومن الصور التي تثير الغرابة ، كما تثير الإحساس بالأسى والخجل ، أن بعض العرب بدأوا يستخدمون الإنجليزية ، ويضعوها كعناوين على منتجاهم وأسماء شركاهم ومحلاهم .. وأغرب من ذلك.. فقد تقرأ على لافتة محل أو سيارة نقل اسم الشركة أو

أحد منتجاقما بالألفاظ الإنجليزية ولكنها مكتوبة بالحروف العربية .. وعلى سبيل المثال الكلمات الآتية :

هاي باور .. فرنش كورنر .. فرست .. بيبي كير .. فريش .. ليذر هوم .. فاشون .. دياموند تكستايل .. ماجيك .. كوفي شوب .. إليجانت فوياج للسياحة .. مصانع لانجيري فرانس .. تاتش وود .. هاي تاتش .. مارك توك .. دريم لاند .. وهكذا ..

وعلى لافتات كثير من المحلات نجد لفظ " كو " وقد اقترن باسم المحل أو صاحبه فمثلاً نقرأ { سعدكو –عمركو – صالونكو – فلافلكو } .. وأذكر ذات مرة أن جاءني صديق ، وطلب مني أن أكتب له لافتة لمحله الذي يقوم بتفصيل الستائر ، وطلب أن أكتب له عبارة " ستايركو ".. فسألته : هل تعرف معنى" كو " ؟!.. فقال : لا.. ولكني أراها على كثير من المحلات .. واتضح أنه لم يكن يعرف أن لفظ " كو " هو اختصار لكلمة " كومباني " **company** " بمعنى.. شركة .. ويذكّرني هذا الموقف بسيدة من " بولاق " وهو الحيّ الشعبي المعروف في القاهرة .. فتح الله على زوجها ، وأصبح ثرياً.. وانتقلوا إلى حيّ الزمالك الذي يتناسب مع ثرائهم .. وفي إحدى الزيارات المتبادلة بين سكان الزمالك ، قالت سيدة أرستقراطية لهذه السيدة التي جاءت من " بولاق " : " أنشانتيه " ، فقالت الأخرى على الفور : " أنشانتيه يا الدّلعدي!!..

إلى متى نهرب من واقعنا .. ونهجر لغتنا ؟!.... ولن ندهش بعد ذلك إذا قرأنا على بعض اللافتات عبارات (سبّاككو – حانوتيّ كو) ولا تندهشوا إذا رأيتم يومًا أحد " الشحاذين " يجلس على الرصيف وبجواره لافتة عليها عبارة " شحاتكو " !!..

ياناس .. يا عرب ..يا مصريون .. اتقوا الله في لغتكم واعتزّوا بها .. وحافظوا عليها .. ويا رجال التربية والتعليم .. اتقوا الله في أبنائنا .. وحبّبوهم في لغتهم .. وشجّعوهم على الاعتزاز بها .. واهتموا بتدريب الأساتذة الذين يقومون بتدريسها .. فقد رأيت الكثيرين منهم لا يعرفون الكثير من قواعدها .. وفاقد الشيء لا يعطيه !!..

إننا نسمع بعض المذيعين والمذيعات وهم يخطئون أخطاء لا يصحّ أن تقبل من تلاميذ في المرحلة الإعدادية.. فكيف تم إعداد هؤلاء ؟!..وكيف تم اختيارهم لينشروا أخطاءهم اللغوية ويشوّهوا جمال لغتنا "الجميلة "؟!!..كما نقرأ كثيراً من الإعلانات التليفزيونية التي تحمل الأخطاء اللغوية. وكذلك في ترجمات الأفلام والحلقات الأجنبية التي تتم ترجمتها في التليفزيون المصري والعربي. وهنا نتساءل: ألا يوجد مصحّحون للغة العربية بجهاز التليفزيون ، ليراجعوا ما ينشر أو يكتب أو يقال ؟!..

ونصيحتي .. بل صرختي .. إلى كل الآباء والأمهات ، وخاصة ، المغتربات منهم .. أن يعلّموا أولادهم اللغة العربية ، وأن يغرسوا فيهم الاعتزاز بها ، حتى يظلوا على صلة بأوطانهم وتاريخهم ، وحتى لا تذوب هويّتهم ، وينصهروا بعيداً عن حضاراتهم وتراثهم!!..

لقد رأيت بعض الأسر المصرية في الولايات المتحدة الأمريكية ، وأذهلني أن أولاد بعضهم لا يتكلمون اللغة العربية ولا يعرفون عنها شيئاً ، ووجدت آباءهم وأمهاتهم في حيرة من أمرهم ولا يعرفون كيف يتصرفون !!..

أيها المسئولون .. في التربية والتعليم .. وفي الأزهر الشريف .. وفي وسائل الإعلام المختلفة .. أعيدوا النظر في أساليب التدريس ، والكتابة والخطابة ، والإذاعة والنشر .. ولا تستهينوا بهذا الأمر .. فقد هبط مستوى اللغة العربية بين معظم المتحدثين بها .. ويحاول الكثيرون منهم أن " يتفرنجوا " باللغات الأجنبية !!..

بادروا بإنقاذ لغتنا " الجميلة " قبل أن نرى يوماً .. تنبح فيه كل الكلاب ، وتنهق كل الحمير .. باللغة الإنجليزية أو الفرنسية !!..

لـــاذا يـــا عـــر ب ؟؟!!..

لماذا يا عرب ؟!.. هانت عليكم أنفسكم وقد كنتم أعزّة ، فهان أمركم على غيركم وأصبحتم أذلّة ، لماذا ياعرب ؟!..

تستنكرون الاعتداءات المتكررة على حقوق الإنسان في غير بلادكم ، بينما لا تحترمون حقوق الإنسان في بلادكم .. لماذا يا عرب ؟!..

تبددون ثرواتكم خارج أوطانكم ، وتنعشون بها اقتصاد الدول التي طالما استعمرتكم وما زالت تعمل على إذلالكم ، بينما تتركون أوطانكم المتعطشة إلى هذه الثروات ، وتتركون اقتصادكم يئنّ ويتدهور حتى الاحتضار .. لماذا يا عرب ؟!..

تفتحون أبواب بلادكم للخبرات الأجنبية بلا حدود ، وتدفعون لهم أيضاً بلا حدود ، بينما تغلقون هذه الأبواب في وجه الخبرات العربية .. وتبخلون في تقدير خبرائكم ، وتدفعون لهم في أضيق الحدود، حتى أصبحنا نرى الأجانب يتوافدون في جماعات إلى بلادكم ، بينما نجد الكفاءات النادرة من الشباب العربي يهاجرون في جماعات بحثاً عن الذات التي فقدوها في بلادهم .. لماذا يا عرب ؟!..

تفرّقت بكم السّبل وتشعّبت ، وقد كنتم أمّة واحدة ، تهابكم سائر الأمم ، وتحني هاماتها أمام وحدتكم وقوتكم ، وأصبحتم أمماً شتى، تسخر منكم سائر الأمم وترفع هاماتها ، استعلاء عليكم واستهزاء بكم.. لماذا يا عرب ؟!..

أصبح الضعيف فيكم يستنجد بأعداء العرب ، لحمايته من إخوته العرب ، وقد كنتم في الماضي عوناً وسنداً للضعيف ، حتى ولو كان من غير العرب .. وهاهي الكويت العربية في أزمتها مع العراق العربية ، استنجدت بدول الغرب والأعداء ، لتحميها من جيوش الأشقاء العرب .. وما زلتم حتى اليوم تدفعون الثمن .. ولو كانت الكويت تثق في قدرتكم على نصرتها وحل أزمتها مع شقيقتها وجارتها ، لما

لجأت إلى غير العرب ، ليحموها من اعتداء الأشقاء .. فهل رأيتم من قبل مثل هذا البلاء ؟!.. ألا ترون أن الأزمة الليبية مع أمريكا وبريطانيا، وكذلك الأزمة العراقية مع الأمم المتحدة وأمريكا وبريطانيا.. تعكس صورة مريرة للواقع العربي المرير .. صورة الضعفاء الذين يستهين بهم الأقوياء .. ولو كنتم أقوياء بوحدتكم وتوحيد إرادتكم ووقوفكم صفاً واحداً في جانب إخوانكم ، لما استطاع أعداؤكم أن يفرضوا الحصار الاقتصادي على بعض إخوانكم ، والاعتداء على أرضهم وتجويع شعوبهم وأنتم تتفرجون .. فأنتم لا تملكون إلا الاحتجاج والشجب والاستنكار ، والتنديد الذي لا يتعدّى البكاء على اللّبن المسكوب .. ثم تنتقلون إلى مرحلة تقديم المقترحات ، أو على الأصح " التنازلات " إذا سمّيناها باسمها الحقيقي .. هذا ما تملكونه .. أما الأقوياء ، فيملكون سلطة اتخاذ القرار ، بل وتنفيذه ، بصرف النظر عما تعانونه أنتم من جراء ذلك من شقاء .. لماذا .. لماذا يا عرب ؟!..

لماذا لم تتخذوا قراراً عربياً موحداً برفض استمرار الحصار الاقتصادي والعقوبات على العراق وليبيا ، وتنفّذوا قراركم بإنهاء هذا الحصار ولو من جانبكم .. إن الموقف الذي اتخذه الزعيم الليبي العقيد معمّر القذّافي لموقف شجاع لزعيم يرفض تسليم رجلين من أفراد شعبه لمحاكمتهما عن طريق دولتين موتورتين ، حتى ولو تعرضّت ليبيا لتلك المقاطعة التي استمرّت لسنوات دون أن يرضخ الزعيم البطل لتلك التهديدات ، وأصرّ على أن تكون المحاكمة في بلد محايد وبهيئة قضائية محايدة .. ألم يكن هذا الموقف الشجاع من الزعيم الليبي مشجّعًا لكم لكي تقفوا إلى جانبه وترفضوا تلك المقاطعة المجحفة الظالمة ؟!.. إنكم لو اتخذتم مثل هذا القرار لن تستطيع أمريكا ولا بريطانيا ولا حتى الأمم المتحدة أن تتصدى لقراركم ، أو تتحدى إرادتكم إذا أجمعتم رأيكم ونفّذتم قراركم .. فلماذا لا تجتمعون.. ولقراركم تنفّذون .. لماذا .. لماذا يا عرب ؟!..

ماذا فعلت لكم جامعتكم ؟ وماذا أكسبتكم أموالكم ؟.. وبماذا أفادتكم كثرتكم مع تمزّقكم وتفرّقكم ؟.. إن إسرائيل التي ظللتم سنوات طويلة تسموها بالدولة المزعومة ، والتي يقل عدد سكالها عن تعداد محافظة واحدة من محافظات بعض دولكم استطاعت أن تفرض الأمر الواقع على العالم كله ، بل وعلى العالم العربي نفسه ، الذي ناصبها العداء زهاء ما يقرب من نصف قرن ، والذي ظل يردّد دائماً شعارات : لا صلح ، ولا اعتراف ، ولا مفاوضات ، ولا ، ولا ، إلى آخر هذه اللاءات المعروفة ، والتي تهاوت واحدة بعد الأخرى .. وأصبحتم تستجدون التنازلات الإسرائيلية في مباحثات السلام أو الاستسلام .. وهاهي إسرائيل مازالت تواصل اعتداءاتها وتوسّعاتها هنا وهناك ، دون أن يجرؤ أحد من العرب أو غير العرب أن يتصدى لها .. حتى الأمم المتحدة التي تتشدّق بما تسميه بالشرعية الدولية ، لا تستطيع أن تفرض على إسرائيل احترام قراراتها .. ولا تستطيع الأمم المتحدة أن تفرض عليها حصاراً اقتصادياً كالذي فرضته على العراق وعلى ليبيا ، مما يؤكّد أن هذه المنظمة الدولية " اسماً " ليست إلا مؤسّسة تابعة للأقوياء ، ومنفّذة لقرارات الكبار الذين لا يقيمون وزناً للضعفاء ، فلماذا لم تتعلموا،لماذاياعرب؟!..

إن أمامكم اليوم يا عرب .. فرصة أخرى تثبتون فيها وجودكم، وتعلنون للعالم كله أنكم أصحاب قراركم .. فهاهي جامعتكم العربية في اجتماعات وزراء خارجيتها في مارس ١٩٩٩ ، قد أعلنوا تأييدهم لقرار السلطة الفلسطينية بإعلان الدولة الفلسطينية في أول مايو ١٩٩٩ ، بينما أعلنت إسرائيل تحدّيها للعالم كله باعتبار " القدس " عاصمة أبديّة لإسرائيل .. وقبول هذا التحدّي والتصدّي له سيعتبر اختبارًا قد يكون أخيرًا لكم ، يبيّن للعالم إذا كان لكم وجود حيّ أم أنكم عدم !! فهل تنجحون في هذا الاختبار .. أم ماذا يا عرب ؟!..

هذه هي أبواق العالم الذي يسمّي نفسه بالعالم الحر ، تعلو أصواتها مندّدة بانتهاك الحرية وحقوق الإنسان ، ولكن هذه الأصوات تصمت تماماً إزاء الاعتداءات

الإسرائيلية المتكررة على حقوق الشعب الفلسطيني وغيره من الشعوب العربية ، ويعتبرون كفاحهم ضد الاعتداءات عملاً إرهابياً لابدّ من مقاومته والقضاء عليه .. وكم من قرارات لمجلس الأمن لم تلتزم إسرائيل بتنفيذها ، فهل تحركت دول الغرب أو وجهت إنذاراً لإسرائيل ، أو أعطتها مهلة محددة لإعادة الحقوق لأصحابها وإلا تعرضت للحصار الاقتصادي أو الغزو العسكري ؟!.. طبعاً لا .. فإسرائيل ليست العراق ، وليست ليبيا ، أي أنها ليست عربية .. ومع ذلك لا تعتبرون ولا تتعظون يا عرب .. لماذا .. لماذا يا عرب ؟!..



هذا هو نتاج تفرّقكم وسوء تخطيطكم يا عرب .. وضعف إدراككم ، وتغليبكم للمصالح الإقليمية المحدودة على المصالح القومية العربية العليا .. إنني مازلت أتذكّر" موشي ديان " ، وزير الدفاع الإسرائيلي أثناء حرب يونيو عام ١٩٦٧ عندما صرّح للصحفيين ببعض المعلومات عن حرب الأيام الستة التي انهزم فيها العرب .. ثم وجّه مجلس الوزراء الإسرائيلي اللوم إلى " موشي ديان " بحجة أن تصريحاته ربما تفيد العرب فقال لهم قولته الشهيرة : " اطمئنوا ، فإن العرب لا يقرأون ، وإذا قرأوا لا يفهمون ، وإذا فهموا فسرعان ما ينسون "، فهل أنتم كذلك يا عرب ؟ ولماذا .. لماذا ياعرب؟!.. إن العالم اليوم لا يحترم إلا القوي ، الذي يستطيع أن يعطي ويمنع ، ويقول ويستطيع أن ينفّذ قوله .. ولقد كنتم يا عرب أقوياء ، حينما كنتم تعتمدون على أنفسكم وتنتجون غذاءكم .. أما اليوم ، فأنتم تعتمدون على الواردات من الغذاء والكساء .. وبذلك فقدتم حريتكم ، لأنه من لا يملك غذاءه لا يملك حريته .. ومن لا يملك الحرية لا يملك القرار .. إن العالم كله الآن يجري بالخطوة السريعة إلى الأمام ، وأنتم أيضاً يا عرب تجرون بالخطوة السريعة أيضاً .. ولكن إلى الخلف .. وإلى الضياع .. فلماذا .. لماذا .. لماذا يا عرب ؟؟!!..

ويل للأغنياء .. من حقوق الفقراء !!..

أيها الأغنياء .. أهدي إليكم هدية أغلى وأثمن من هداياكم التي تهدونها إلى أحبابكم ، أو يهديها إليكم أصدقاؤكم .. وأنا الفقير إلى الله ، لا إليكم .. وهديتي هي باقة من الأمثلة الرائعة ، والزهور الإيمانية التي نبتت في حديقة مدرسة " محمد بن عبد الله" التي تجسمت في بعض الشخصيات التي أغناها الله تعالى من فضله ، وهداهم إلى حسن أداء الشكر على نعمة عطاء الله الذي أنعم بها عليهم .. ولعل هديتي تكون تذكرة لكم .. فإن الذكرى تنفع المؤمنين !!..

عندما عزم الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، على غزوة " تبوك " وهي آخر غزوة غزاها في حياته ، كانت الحاجة إلى المال شديدة ، فأمر الرسول بالنفقة في سبيل الله ، واحتساب ذلك عند الله.. وكان في طليعة المستجيبين للدعوة ، والمتصدقين " عبد الرحمن بن عوف " رضي الله عنه ، فقد تبرع بمائتي أوقية من الذهب .. فقال" عمر بن الخطاب " رضي الله عنه للنبي عليه الصلاة والسلام : " إني لا أرى عبد الرحمن إلا مرتكباً إثماً ، فما ترك لأهله شيئاً .. فسأل الرسول صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن : هل تركت لأهلك شيئاً يا عبد الرحمن ؟.. فقال عبد الرحمن : نعم .. تركت لهم أكثر مما أنفقت وأطيب.. فقال النبي : كم تركت ؟.. قال: ما وعد الله ورسوله من الرزق والخير والأجر .

وقد بلغ من بر " عبد الرحمن بن عوف " وكرمه بالمسلمين وأمهات المؤمنين ، أنه باع أرضاً له بأربعين ألف دينار ، فقسمها كلها في " بني زهرة " وهم قوم " آمنة بنت وهب " أم الرسول صلى الله عليه وسلم .. وكذلك في المسلمين والمهاجرين ، وأزواج النبي عليه الصلاة والسلام .. فلما وصل إلى السيدة عائشة ، رضوان الله

عليها ما خصها من ذلك المال ، وعلمت أنه من " عبد الرحمن بن عوف " قالت : قال عليه الصلاة والسلام : " لايحنو عليكن من بعدي إلا الصابرون " .

وذات مرة أراد الرسول صلى الله عليه وسلم ، أن يجهّز سرية ، فقال في أصحابه : " تصدقوا فإني أريد أن أبعث بعثاً " ، فذهب " عبد الرحمن بن عوف " إلى منزله وعاد مسرعاً ، وقال : يا رسول الله .. عندي أربعة آلاف : ألفان منها أقرضتهما ربي ، وألفان تركتهما لعيالي.. فقال له الرسول عليه الصلاة والسلام : " بارك الله لك فيما أعطيت وبارك الله لك فيما أبقيت " واستجابت السماء لهذه الدعوة بأن يبارك الله في مال عبد الرحمن ما امتدت به الحياة .. حتى أصبح أغنى الصحابة غنى وأكثرهم ثراء ، وكلما أنفق من ماله كلما زادت تجارته وتضاعف ماله ورغم الكثير الذي كان ينفقه عبد الرحمن بن عوف من ماله في سبيل الله وللمسلمين وفقرائهم ، إلا أنه كان شديد الخشية من مسئولية هذا الغنى والثراء .. وقد جيء له ذات يوم بطعام وهو صائم ، فنظر إلى الطعام وقال : لقد قتل " مصعب بن عمير " ، وهو خير مني ، فما وجدنا له إلا كفناً إن غطّى رأسه بدت رجلاه ، وإن غطّى رجليه بدا رأسه .. ثم قال : ثم بسط الله لنا من الدنيا ما بسط .. وإني لأخشى أن يكون ثوابنا قد عُجِّلَ لنا .. ثم جعل يبكي ويشتد بكاؤه حتى عافت نفسه الطعام !!..

طوبى لعبد الرحمن بن عوف ، الذي بشّره الحبيب محمد بن عبد الله بالجنة ، وحمل جنازته خال الرسول " سعد بن أبي وقاص " ، وصلى عليه ذو النورين " عثمان بن عفان"، وشيعه أمير المؤمنين " علي بن أبي طالب " كرم الله وجهه ، وهو يقول : " لقد أَدْرَكْتَ صَفْوَهَا .. وسَبَقْتَ زَيْفَهَا .. يرحمك الله " !!..

وإليكم أيها الأغنياء .. زهرة أخرى من باقة زهور الجنة ، والفائزين برضوان الله من الأغنياء الأتقياء .. هاهو " أبو بكر الصديق " رضي الله عنه ، عندما استعد

لمصاحبة النبي في رحلة الهجرة من مكة .. وقد جاء بكل ماله ووضعه في حجر الرسول ، فلما سأله صلى الله عليه وسلم : ماذا تركت لأهلك يا أبا بكر ؟ .. قال : تركت لهم الله ورسوله !!..

وموقف آخر من مواقفه العظيمة .. عندما جاءه مسكين يطلب العون ، وكان يجلس مع أصحابه ، فقام وأعطاه وأجزل له العطاء .. ثم جلس يبكي ويشتد بكاؤه .. فلما سأله أصحابه : ما يبكيك يا أبا بكر وقد أعطيته مما أعطاك الله ؟!.. فقال أبو بكر : إنني أبكي لهذا المسكين لأنني انتظرت حتى يأتيني لحاجته ، ولم أذهب أنا إليه !!..

وأسوق لكم مثلاً آخر لزهرة أخرى من زهور الجنة .. وهو " عمير بن سعد " الذي رفض تجديد ولايته على " حمص " ، وفضّل أن يعيش بسيطاً في بلدته ، خوفاً من الحساب على مسئولية الحكم يوم القيامة .. ولما علم أمير المؤمنين " عمر بن الخطاب " رضي الله عنه ، بشدة حاجة " عمير بن سعد " ، أرسل إليه مائة دينار ، فقسمها في صرر ووزعها على الفقراء والمساكين ، رغم شدة حاجته .. وأرسل في طلبه أمير المؤمنين عمر وسأله : ماذا فعلت بالدنانير يا عمير ؟.. فقال عمير : وما عليك منها يا عمر وقد خرجت لي عنها ؟!.. فقال عمر : عزمت عليك أن تخبرني بما صنعت بها .. فقال عمير : ادخرتها لنفسي لأنتفع بها في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون .. فدمعت عينا عمر ، وقال: أشهد أنك من الذين يؤثرون على أنفسهم ولو كانت بهم خصاصة !!..

ويحضرني الآن موقف لأحد القضاة الأمريكيين الذي اضطر بحكم القانون ، أن يصدر حكماً بغرامة عشر دولارات ، على رجل سرق رغيفاً .. ثم أخرج القاضي من جيبه عشر دولارات ، وأعطاها للمتهم ليدفعها .. ثم بكى القاضي ، وأصدر حكماً

بغرامة نصف دولار على جميع الحاضرين في قاعة المحكمة ، لأنهم لم يشعروا بحاجة مثل هذا المتهم الذي اضطر إلى سرقة رغيف ليأكل .. فلم يخرج المتهم إلا ومعه حوالي مائة دولار ، بدأ بها حياة شريفة !!..

وأسوق إليكم قصة رواها لي صاحبها وهو موظف بسيط يقول فيها إنه اشترى جهاز تليفزيون من محلات " عمر افندي " من منتجات شركات الدكتور " أحمد بهجت".. وحدث به عطل بعد انتهاء مدة الضمان بيوم واحد .. فاضطر لعرضه على أكثر من محل للصيانة ولكنهم كانوا يطلبون أجراً يفوق طاقته ، فتركه دون إصلاح.. وفي حديثه مع أحد زملائه عن هذا الموضوع أشار إليه بأن يذهب إلى بيت والد الدكتور " أحمد بهجت " لعله يساعده في إرسال الجهاز إلى أحد مراكز الصيانة التابعة للشركة المنتجة .. وفعلاً ذهب وقابل والد الدكتور أحمد بهجت ، الذي استقبله استقبالاً كريماً و طلب منه إحضار الجهاز ، فأحضره .. وبعد فترة أرسل إليه ليتسلم الجهاز ، وعندما جاء ، وجد جهازاً جديداً بصندوقه ، بدلاً من الجهاز الذي تعطل ، وسأله: كم دفعت ثمناً للجهاز في محل " عمر افندي " فذكر له ما دفعه .. فما كان من والد الدكتور أحمد بهجت إلا أن أخرج من جيبه مبلغ مائتين وخمسين جنيهاً ، وأعطاها لصاحب الجهاز وقال له : هذا هو فرق السعر بين أسعار الشركة وأسعار عمر افندي .. ومن الظلم أن تتحمل أنت هذا الفرق!!.. وربما كان يقصد بهذا الحديث أن يساعد الموظف البسيط ، بطريقة غير مباشرة ودون أن يجرحه !!..

إن هذا لمثل طيب وكريم من أحد أثرياء مصر في هذا العصر الذي ندر فيه كرم أغنيائه .. وكما سمعنا عن التبرعات الكثيرة التي يتبرع بها الدكتور " أحمد بهجت " ، رجل الأعمال المصري الذي يساهم بأمواله ، مع غيره من رجال الأعمال المصريين الشرفاء ، في النهضة الاقتصادية لبلادنا .. بارك الله فيهم جميعاً !!..

ولعلمك أيها القارئ أنا لا أعرف الدكتور " أحمد بهجت " ولم يحدث أن شرفت بلقائه أو الأستاذ الكريم والده ، وما ذكرته كان نقلاً عن رواية صاحب الجهاز الذي كان متأثرًا جدًا بما حدث .

ولقد التقيت بأسرة كريمة أخرى ممن أنعم الله عليهم ، وهي أسرة الأستاذ الحاج منتصر زكي ، صاحب شركة " الاتحاد الاستثماري " بالمهندسين .. والسيدة قرينته الأستاذة منى .. وقد رأيت بنفسي أنهما ممن يتحدثون بنعمة الله ، ويؤدون ما عليهم من نعمة الشكر في المناسبات المختلفة كالأعياد وشهر رمضان ، برسم البسمات على وجوه الفقراء والمحتاجين ، بتوزيع الأموال والأطعمة والأقمشة .. كما يتجلّى كرمهم وإنسانيتهم على جميع العاملين في شركاتهم ، ورعايتهم ماديًا واجتماعيًا ، حتى أصبحوا يشعرون بأنهم جميعًا أسرة واحدة ، فزادهم الله بركة وفضلاً.. وهنيئًا لهؤلاء الناس ولأمثالهم ممن عرفوا الله، وعرفوا كيف يكون الشكر على أنعم الله، ونسأله تعالى أن يزيدهم من فضله ، وأن يزيدهم من نعمة العطاء .

أيها الأغنياء .. إن لبلدكم عليكم حقاً .. وإن للفقراء في أموالكم حقاً معلوماً قدّره الله عليكم ، فلا تبخلوا به .. واعلموا أن المال مال الله ، وقد استخلفكم عليه لتكونوا وكلاء لتوصلوه إلى مستحقيه من عباد الله .. واعلموا أيضاً أنه ليس لكم من هذه الأموال إلا ما أكلتم فأفنيتم ، وما لبستم فأ بليتم ، وما تصدقتم فأ بقيتم !!..

وتذكروا قول الله تعالى:(وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِم حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ) " ٢٤-٢٥ المعارج "..كما يقول الله تعالى في حديث قدسي معناه : " الأغنياء وكلائي والفقراء عيالي ، فإن بخل وكلائي على عيالي من فيض مالي ، أذقتهم من وبالي ولا أبالي

فيا أيها الأغنياء .. مازالت الفرصة أمامكم فلا تضيّعوها .. والدنيا زائلة فلا تأمنوها .. وأدركوا صفوها ، واسبقوا زيفها .. يرحمكم الله !!..

وكأن الزلزال لم يكن !!..

إن الزلزال الذى وقع فى مصر فى الثامن عشر من أكتوبر عام ١٩٩٢ ، رغم أنه تسبب فى أضرار كبيرة ، إلا أنه أعطى للناس دروسًا وعظات كثيرة ، لو وعاها الناس لأدركوا سرّ الحقيقة الغائبة عن أذهان الكثيرين ، وهى أن الإنسان لا يملك من أمر نفسه شيئا ، وصدق الله تعالى إذ يقول : (ليس لك من الأمر شىء) .. ولكن الناس ويا أسفاه سرعان ما ينسون !!.. وكأن الزلزال لم يكن !!..

ومن العظات التى جاء بها الزلزال ، تلك العمارة الحديثة ذات الطوابق الأربعة عشرة فى حىّ مصر الجديدة التى انهارت فى لحظات على جميع من كان فيها.. وكم من أحلام كان يعيش أصحابها على أمل تحقيقها ، ولكنها دفنت مع الأنقاض !!.. وكم تمتم الكثيرون بالآيات والأحاديث الشريفة والحِكم التى تقول إن الحياة لا أمان لها ، وأنه لابد من العودة إلى الله .. وأن نرضى بما قسمه لنا .. وكم تردّدت هذه الآيات والأحاديث والحكم على ألسنة الناس مع مسلسل انهيار المنازل التى كانت تقع تباعًا !!.. وما هى إلا أيام قليلة وقد عاد الكثيرون إلى ما كانوا عليه قبل الزلزال .. وكأن الزلزال لم يكن !!..

فهذا رجل يذهب إلى قسم الشرطة ليحرّر محضرًا مدّعيًا أنه كان يسكن شقة فى بيت من البيوت المنهارة ليتسلم شقة جديدة ، ونسى أن هناك الكثير من الأسر التى تفترش الأرض وتلتحف بالسماء ، ولا تجد مسكنا يسترها .. وهكذا نسى هذا الإنسان ، وكأن الزلزال لم يكن !!..

وهذا آخر ذهب إلى السّجل المدنى ، وحرّر شهادة وفاة لوالده مدّعيًا وفاته تحت الأنقاض ، رغم أن والده قد توفى منذ سنوات ، وذلك طمعًا فى الحصول على تعويض من الحكومة ، وهكذا اختفى ضميره ثانية ، وكأن الزلزال لم يكن !!..

ومن هذه النماذج أيضًا ، ذلك الرجل الذى راح يضرب جدار شقته حتى يتصدّع ليبلغ بعد ذلك بأن التصدّع كان نتيجة للزلزال ليحصل على شقة ، غيره أحوج إليها .. فإذا بالجدار ينهار ويسقط السقف على الرجل ويقتله .. لأنه نسى عظات الزلزال .. وكأن الزلزال لم يكن !!..

أسرة أخرى كانت تسكن فى منزل من طابق واحد ، وحمدوا الله أنهم فى أمان لأن البيوت المتعدّدة الطوابق هى التى تتعرّض للانهيار ، وإذا ببيت مجاور من ستة طوابق تركه سكانه جميعًا خشية انهياره ، إذا به ينهار بعد منتصف الليل، ويقع على البيت ذى الطابق الواحد فيقتل جميع من كان فيه إلا رجلا واحدًا أخرجه رجال الإنقاذ حيًا بعد عشر ساعات قضاها تحت الأنقاض ، وقال إن عوارض السرير منعت السقف من قتله ، ولم يكن بين السقف ورأسه أكثر من شبر واحد .. وكان قد فقد الأمل فى النجاة ، وكان يسمع صوت البلدوزر فى الخارج الذى يزيل مخلفات الأنقاض ، وظن أن الموت لا محالة قادم.. وإذا به يخرج سالمًا وهو لا يصدّق !!.. ولّما سأله رجال الصحافة عمّا يطلبه قال : لا أطلب شقة ولاتعويضًا ولا أىّ شىء حتى لو نمت فى الطريق ، وأحمد الله تعالى أن نجّانى !!..

هذا رجل رأى الموت بعينه ، وعرف فضل الله عليه بنجاته ، فزهد فيما يتصارع من أجله الآخرون !!..ورجل آخر ظل تحت الأنقاض فى عمارة مصر الجديدة حوالى اثنتين وثمانين ساعة ، وشاء الله أن يخرجه رجال الإنقاذ حيًا بعد أن فقد أباه وزوجته وأولاده .. ولّما سألوه .. ماذا تريد ؟؟ قال : أريد أن أعمل خادمًا فى بيت من بيوت الله !!..

رجل آخر من رجال الأعمال الأثرياء سمع أن هناك احتمالا لحدوث زلازل أخرى ، فجمع أولاده وأخذ ما يهمه من أموال وأوراق ، وذهب إلى عزبة له فى الريف ليكون بعيدًا عن آثار الزلازل ، وطلب من معاونيه ترتيب إقامة مريحة وآمنة فى وسط

حديقة فواكه .. وأعدّوا له ما أراد .. بيتا جميلا بنظام الخيام المجهّزة بكل الإمكانيات .
وبات الرجل ليلته الأولى ، وجاءوا فى الصباح ليوقظوه ، فوجدوه قد فارق الحياة

وصدق الله تعالى إذ يقول : (أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيّدة) !!..

فهل سنعتبر ونتعظ مما حدث ؟؟ أم أننا سنمضى فى نفس الطريق .. وكأن الزلزال لم يكن !!..

فإذا كانت هذه الزلازل التي حدثت في مصر لم تكف لتكون عظة وعبرة ، فما رأيكم في الزلازل التي حدثت في تركيا في شهر سبتمبر عام **١٩٩٩** والتي قتلت أكثر من مائة ألف نفس ، وهدمت آلاف المنازل وشردت الآلاف من الأسر ؟!.. وما رأيكم في الزلزال الذي حدث بعد ذلك في المكسيك ؟ وفي آثاره ؟!.. هل يمكن أن نفيق من غفلتنا .. وأن ندرك أننا معرّضون لما يتعرّض له غيرنا .. أم أننا كعادتنا .. سننسى .. وكأن الزلازل لم تكن ؟؟!!..

شعب مصرعنصر واحد .. وليس عنصرين !!

أيها الحاقدون والموتورون .. يامن في قلوبكم مرض .. ماذا فعلت لكم مصر حتى تشنوا ضدها تلك الحملات المسعورة ، وتطلقوا ضد شعبها تلك الإشاعات المغرضة من آن لآخر ؟!.. فتارة تشيعون أن أقباط مصر مضطهدون .. وتارة أخرى تشيعون أن مصر

بلد غير آمن ، وتنشرون نصائحكم ، بل " سمومكم " أمام السائحين الذين يفدون يتوقون ويتشوقون لزيارة مصر ، وهدفكم ضرب السياحة في مصر .. كما تهدفون إلى تشويه صورة مصر ، والشعب المصري الطيب المسالم المضياف ، والمعروف بكرمه البالغ مع ضيوفه ، خاصة الذين يفدون من خارج مصر.. فهو شعب أصيل .. يعرف كيف يكرم ضيوفه !!..

لقد هالني ما قرأته في بعض الجرائد التي تنشر في بعض الولايات الأمريكية عندما كنت في زيارة لبعض ولاياتها فيما بين أغسطس ونوفمبر عام ١٩٩٨ ، عن إشاعة اضطهاد الأقباط في مصر .. وأعترف بأن الأساليب التي اتُّبعت في كتابة تلك المقالات قد أثَّرت في نفسي .. وأنا الذي يدرك تمامًا قوة الروابط والأخوّة بين المسيحيين والمسلمين في مصر .. وما أكثر أصدقائي وزملائي من المسيحيين .. وما أقوى روابط المحبة والإخلاص والزمالة والصداقة التي تربط بيني وبينهم !!.. ومع ذلك فقد تأثَّرت " إلى حد ما " بما قرأته .. فما بالكم بمدى تأثر المقيمين في أمريكا ، الذين لا يعرفون حقيقة المجتمع المصري بكل طوائفه ، كما أعرفه أنا ؟!..

إنهم قطعًا سيكونون معذورين " إلى حد ما " إذا تأثروا بما يُكتب في تلك المقالات .. ومع ذلك فإني أقول لهؤلاء الكتّاب : ما كان يجب أن تتسرّعوا وتصدّقوا كل ما يصل إليكم من أخبار .. بل كان يمكنكم أن تنتظروا حتى تتبينوا الحقائق من الأكاذيب

.. خاصة وأنتم تعلمون أن مصر وشعبها في هذه الآونة بالذات هدف لأعداء مصر من الحاقدين والموتورين والحاسدين .. أقول للأستاذ الدكتور " محمود أمين " رئيس تحرير جريدة " بلادي " بنيوجيرسي ، الذي كتب مقالاًحول هذا الموضوع بعنوان " ياللعار ".. أقول له : إني أعرفك وأعرف حبك وإخلاصك لمصر ، ودفاعك الدائم عن شعبها وعن حضارها ، وقد لمست بنفسي الكثير من نشاطك المشرّف لصالح مصر ، ..ومع ذلك ألتمس لك العذر .. وكذلك المقال الذي قرأته في نفس العدد في نوفمبر عام ١٩٩٨ وفي الصفحة الثالثة ، والذي كتبه الأستاذ الدكتور " وليم الميري " بعنوان " ماذا يحدث للأقباط في مصر ؟ ".. وأقول للأستاذين الفاضلين ، د . محمود أمين ، ود . وليم الميري ، ولكل المصريين المغتربين : اطمئنوا.. واطمئنوا تمامًا ..فإن مصر بخير ، وشعبها ، مسلمين ومسيحيين بكل خير .

فعندما عدت إلى مصر ، تقصّيت الحقيقة بنفسي ، واستفسرت من بعض المسئولين وبعض المقرّبين من أصدقائي وزملائي من أقباط مصر ، كما التقيت ببعض رجال الدين المسيحي ممن أعرفهم في مصر .. وكانت خلاصة ما سمعته وعرفته أن ما حدث في الصعيد في ذلك الوقت لم يكن غير خلاف وقع بين عائلتين مسيحيتين ، ولم يكن لأي فرد مسلم دَخْلٌ فيما حدث .. وأن رجال الأمن المصريين قد تعاملوا مع الحادث كما يتعاملون مع الأحداث المماثلة .. وكل ما في الأمر ، أن بعض الحاقدين والموتورين ممن يغيظهم ويثير حفيظتهم علمهم باستتباب الأمن واستقرار المجتمع وانتشار المحبة والتآلف بين أفراد الشعب المصري بجميع طوائفه .. فيدفعهم ذلك إلى استغلال أي حادث يكون فيه طرف قبطي ، ليبدأوا بالمبالغة والتشهير والتشويه للحقائق أملاً في إثارة الفتنة الطائفية .. ونسي هؤلاء أن الشعب المصري قد فطن إلى هذه الألاعيب ، ولم تعد تنطلي عليه هذه الأساليب .. وأدرك رجال الدين الإسلامي والمسيحي الهدف من تلك المحاولات الخائبة واليائسة ، فتعدّدت لقاءات وتصريحات الإمام الأكبر شيخ الأزهر والبابا شنودة ، وكذلك كبار رجال الديانتين .. وأصبح المسلمون بكبار رجال

دينهم يتناولون طعام الإفطار في شهر رمضان على موائد الإخوة الأقباط في الكنائس أحيانًا .. ويشاركونهم الاحتفالات بأعيادهم .. وكذلك يفعل الأقباط في المناسبات الإسلامية.. والقيادات السياسية على جميع المستويات يشاركون الجميع في كل المناسبات الدينية والوطنية .. ولعل الصورة المنشورة في هذا المقال التي تجمع كلاً من الإمام الأكبر شيخ الأزهر والبابا شنودة تكونان " حصوة ملح " في أعين الحاقدين !!

شيخ الأزهر مع البابا شنودة

وقد يتساءل البعض عما حدث أخيراً في قرية " الكُشح " بمحافظة سوهاج من مصادمات بين بعض المتعصبين من الجانبين ، ممن لا يفهمون روح الديانتين ، المسيحية والإسلام اللتين تشتركان في الدعوة إلى السماحة والمحبة والإخاء .. وأقول : إن ما حدث ناتج عن جهل وقلة وعي .. وفي استطاعة أولي الأمر من المسئولين عن الأمن ورجال الديانتين علاج ذلك بنشر الوعي والتآخي الذي تقره الديانتان ، والحمد لله فإن تلاحم القيادات الدينية للمسيحيين والمسلمين يعطي القدوة الحسنة للمواطنين لكي لا نعطي الفرصة للتدخلات الأجنبية في شئون الشعب المصري ، وقد كانت حكمة الله تعالى أن يتزوج رسول الإسلام من مارية القبطية ، وأن يوصي بأقباط مصر

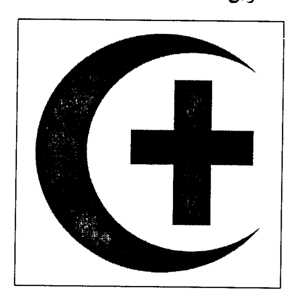
إنني أتخيّل جميع الأقباط والمسلمين جميعهم تتدفّق على ألسنتهم الكلمات الآتية :

لو كنــتــو تســألوا الزمــان ***** أو حــتى تســألوا المـكــان
حا يدلّــكم ويــقــول لــكم ***** إن احنــا إخــوه مــن زمــان

مــين قــال ان احــنــا عنصرين **** أو حــتى إخــوه من أبويــن ؟!
دا الأصــل ويــاّ الأب واحــد **** وصِــفــتــنا واحــده مصريــين

وقت الخــطــوب واللاّ المــحــن **** ومــهــما طــال بــينــا الزمــن
عــاش الــهــلال ويــاّ الصــّليب**** فــي وحــده من أجــل الوطــن !!..

فيا أيها الناس .. داخل مصر وخارجها .. اتقوا الله في مصر .. وفي شعب مصر .. فهو شعب واع ، وليس في حاجة إلى وصاية أحد .. واعلموا أن شعب مصر على مدى التاريخ ، وإن شاء الله إلى أن ينتهي التاريخ .. ورغمًا عن كل أنف .. وكل عين .. هو عنصر واحد .. وليس عنصرين !!



النقد المباح .. لغير الملاح !!..

لقد تعددت الآراء واختلفت التفسيرات والاجتهادات بين الصحفيين والكتّاب حول " النقد المباح " .. وفي هذا المقال نريد أن نستعرض بعض القضايا التي أثيرت حول النقد المباح، سواء في بلدنا مصر أو في بلاد أخرى .. كما نريد أن نتبين بعض مواقف الصحف والصحفيين من النقد المباح ، ورد الفعل من جانب المسئولين ورجال القضاء .

ونظراً لأن الكلمة الصادقة والشجاعة للصحافة هي حصن أمان ووسيلة سريعة للدفاع عن المظلومين ، كما تعتبر الصحافة الحرة سيفاً وسلاحاً موجّهاً ضد الفساد والمفسدين ، فلابد أن يتوفر لها المناخ الديمقراطي الكامل ، والحرية الغير مقيدة بالقوانين التي تهدد بقصف الأقلام أو إغلاق الصحف أو حبس الصحفيين الذين يكشفون الفساد وأقطابه .. ولا يمكن أن تتحقق محاربة الفساد وكشف المفسدين إلا إذا أفسحنا المجال للأقلام الحرة ، لتكون قادرة على الدفاع عن الشرفاء الذين يساهمون في ضرب الفساد أينما كان .. وإذا تأملنا الميثاق العالمي لحقوق الإنسان لوجدناه يقول : " إن حرية الصحافة هي جزء لا يتجزأ من حقوق الإنسان ، فهي جزء من حرية الرأي والتعبير " .. ومما يؤسف له أن مصر من الدول التي وقعت على ميثاق حقوق الإنسان .. إلا أن هناك بعض القوانين الكريهة التي تقضي بحبس الصحفيين في قضايا النشر !!.. هذه القوانين التي يجب إعادة النظر فيها وإلغاؤها .

وأريد أن أذكّر المسئولين ورجال التشريع ورجال القضاء في بلدنا مصر ببعض الأحكام القضائية الرائعة للقضاء المصري الشامخ في قضايا الرأي والنشر في عهد ما قبل الثورة ، رغم أن الصحفيين في ذلك العهد الذي أطلق عليه " الثوريون " أو الانقلابيون " وصف " العهد البائد " كان نقدهم لاذعاً لكبار القوم من الوزراء

والمسئولين ، وكان القضاء المصري النزيه يبرّئ الصحفي الناقد باعتبار نقده نقداً مباحاً هدفه الصالح العام .. ويقول المستشار الدكتور عماد النجار في كتابه " النقد المباح ص ٢٨٠ " : " إن الرأي الذي يبديه الناقد أو الصحفي لا يلزم كي يفلت من العقاب أن يقره المجتمع عليه أو حتى فئة قليلة أو أغلبية فيه ، فيستطيع الناقد أن ينفرد برأي خاص به ولو خالف سائر البشر مادام هو صادقاً فيما يبديه من آراء . إن التاريخ علمنا أن الرأي الذي يبدو مسرفاً في الخطأ اليوم قد يكون هو الصحيح غداً ، وأن الذي كان صحيحاً بالأمس هو ذاته خاطئ اليوم ..إن كل نقد ينطوي على قدر من القذف والسب والإهانة تعتبر جرائم ومع ذلك فبالمناسبة للنقد السياسي فهو يعتبر من النقد المباح والسب المباح والإهانة المباحة " . ولقد قضت محكمة جنايات مصر في ٢٤ – ١ – ١٩٢٥ ببراءة د . محمد حسين هيكل ، من تهمة القذف في حق رئيس الوزراء وزعيم الأمة في ذلك الوقت " سعد باشا زغلول " واتهامه بالخيانة والعمالة مع الإنجليز والاتفاق سراً على ما فيه التنازل عن كثير من حقوق مصر ، وقال الحكم في أسبابه : " حيث أنه بالاطلاع على تلك المقالة تبين أن أهم ما جاء بها نسبة الرئيس لملاينة الإنجليز والاتفاق معهم ، ولا ترى المحكمة في تلك العبارة ما يمكن اعتباره ماساً بكرامة دولة رئيس الحكومة باعتباره من رجال السياسة المعرّضين والمعرّضة أعمالهم بحكم أعمالهم وطبيعة وظيفتهم للنقد السياسي ، وحسبنا دليلاً على ما ذُكر ما نراه من النقد الحر في الجرائد الأجنبية خاصة برجال سياستهم ، وحيث أنه من كل ما سلف تكون التهمة غير ثابتة قِبَل المتهم ويجب براءته منها " .

وفي عام ١٩٢٤ نقضت محكمة النقض حكماً لمحكمة جنايات مصر كان قد صدر بمعاقبة صحفي في تهمة إهانة مجلس النواب ومجلس الشيوخ لنشره مقالاً نسب فيه لفريق الأغلبية أنه يعبد الحكومة ولا يحب الوطن ويضحّي به لشهواته ، وأنه جائع ومنحط ، ووظيفته هي التهام الوطن وأنه محب للمال ومن السهل استرضاؤه ، ونسب إلى رئيس مجلس النواب أنه جاهل ولا يدري عمله ولا إرادة له .. ونقضت المحكمة

العليا " محكمة النقض " حكم الإدانة وبرّأت الصحفي ، ورأت المحكمة أن القصد الجنائي المطلوب لم يتوفر .

وفي عام ١٩٢٦ نقضت المحكمة العليا حكماً لمحكمة جنايات مصر ، كان قد قضى بإدانة صحفي بتهمة إهانة الوزراء لأنه نشر مقالات نسب فيها إلى رئيس الوزراء الجهل وقصر النظر والبعد عن الفطنة ، ونسب إلى أعضاء مجلس النواب الانحطاط والدناءة في أخلاقهم والطمع والجشع .. فنقضت المحكمة الحكم ، وبرّأت الصحفي ، وحملت كل كلامه على محمل " النقد المباح " .

ومن الفقهاء القانونيين الفرنسيين " بارتملي " الذي لا يرى في حياة الأشخاص العموميين ما يُسمّى بالناحية الخصوصية .. فالوزير مثلاً ، كموظف عام بالدولة طالما تولى هذه الوظيفة العامة معرّض للنقد والتجريح في إطار ما يخدم المصلحة العامة ، والصحفي لا لوم عليه فيما يكتبه بغية تأمين المجتمع وتوضيح الأمور العامة أو القضاء على الفساد تمشّياً مع المصالح العليا لبلاده والمجتمع ، وبالتالي لا يُسمح له أن يرسم في شخصه مناطق يُسْمَحُ فيها بالخوض والنقد ، وأخرى يحرم تناولها والتعرّض لها .. فهذا نوع من كتم حرية الصحفي والقضاء على الحرية ، وبالذات حرية الفكر والتعبير التي هي بمثابة الماء والهواء للصحفي ، وللعامة من الناس على السواء .

وما رأي المسئولين وأصحاب التشريع ورجال القضاء في مصر ، في الكتاب الذي ألّفه الكاتب الأمريكي " كريستوفر أندرسون " ، والذي يتناول فيه العلاقات الغرامية للسيدة الأولى في أمريكا " هيلاري كلينتون " من بداية زواجها من كلينتون وخلال وجودها في البيت الأبيض الأمريكي ؟!.. وهل تعلمون أن الكاتب حقق مبيعات من هذا الكتاب بلغت ٧ ملايين دولار ؟!.. والغريب أن هذا الكاتب لم يُتَّهَم بالقذف والسب في حق قرينة رئيس الجمهورية .. ولم يُقدَّم للمحاكمة .. ولم يُحكَم عليه لا بالحبس ولا بالغرامة .. وقد رأيت بنفسي في معظم القنوات التليفزيونية والجرائد اليومية في أمريكا" أثناء زيارتي لها " إبّان الحملة على الرئيس الأمريكي

كلينتون ، الآراء الحرة والشجاعة لجميع المواطنين .. ومنهم من يتهم رئيس الجمهورية بالكذب ، ويطالب بعزله .. ولم يُقدَّم أحد للمحاكمة .. إنما الذي قُدِّم للمحاكمة هو الرئيس الأمريكي نفسه .. وهذا مما جعلني أصفق بإعجاب للديمقراطية الحقيقية في أمريكا !!.." في داخلها فقط " .

ورغم أني لست من رجال القانون .. ولا أستطيع أن أدّعي استيعابي لكل القوانين في مصر، ولكني بالعقل والمنطق والقياس ، وبمصريتي وحبي لبلدي الذي يحكم مشاعري ولساني .. أرى أن ما حدث في قضية صحفيي جريدة " الشعب " وفي ذلك الحكم الجائر الذي صدر ضدهم بالحبس والغرامة ما يتناقض تماماً مع نزاهة القضاء المصري العريق والمشهود له بالنزاهة والعدالة ، حتى في أيام الاحتلال ، وفي عهد ما قبل الثورة .. كما يتناقض مع مبدأ حرية الصحافة الذي كفله الدستور ، ومبدأ حق الإنسان في التعبير عن رأيه .. وكم سمعنا شعارات أننا نعيش " أزهى عصور الديمقراطية " .. ولا أدري أية ديمقراطية هذه التي تسجن أصحاب الرأي والأقلام الشريفة والشجاعة التي تكشف الفساد والمفسدين !!..إن ما حدث لصحفيي جريدة " الشعب " والحكم الذي صدر بحبسهم يسيء إلى سمعة مصر في الخارج، كما يشكك في نزاهة وعدالة القضاء المصري الذي نحترمه ونعتبره الملاذ للمظلومين .. ولا أبالغ إذا قلت إنه يسيء إلى الحكومة المصرية أبلغ إساءة ، كما يسيء أيضاً إلى عهد الرئيس مبارك الذي لم ولن يقصف قلماً ، ولم يغضب من قول ناقد ، ولم يحجر على رأي حر ..ونحمد الله تعالى أن جاء حكم محكمة النقض في الخامس من ديسمبر ١٩٩٩ لِيُظْهِرَ الحق وَيُبْطِلَ الباطل ، إذ حكم ببطلان حكم محكمة الجنايات السابق والإفراج عن صحفيي جريدة " الشعب " الشرفاء .. ولقد أعاد هذا الحكم التاريخي إلى الشعب ثقته " التي كادت أن تضيع " في قضائنا المصري الشامخ ، وعرف الشعب أن قضاتنا العظام مازالوا يحمون الحقوق ، ويحكمون بين الناس كما أراد الله ، بالحق والعدل .

التطبيـــع ..والتضييـــع ..!!

تحدث الكثيرون ..ونشر الكتّاب والصحفيون ..عن التطبيع مع العدو الإسرائيلي من أبناء صهيون ..وأدلى كل منهم بدلوه .. وعبّر عن رأيه .. فمن مؤيّد للتطبيع ، وينادي بالتشجيع .. ويكتب من العبارات ما يعتبره من المبررات .. ومنهم من يرفض التطبيع مع العدو الصهيوني .. ويسوق الأدلة على غدره .. ويصف المذلّة في عهده .. ويطالب بألا نفتح بيننا وبينه الحدود .. وأن نتذكّر ما حدث منه للآباء والجدود ..

وبين المؤيدين والمعارضين .. نجد بعض الناس يتساءلون .. وعن الحقائق يستفسرون .. فالمؤيدون يرون في التطبيع خيراً .. بينما يؤكد الرافضون أن فيه شراً ..وباعتباري مواطناً مصرياً وعربياً، وساعدتني سنوات عمري التي تجاوزت الستين ، أن أساهم بالرأي المستبين ..الذي اكتسبته من خلال هذه السنين ، وما عاصرته وخبرته من غدر المعتدين .. فقد كان لي شرف المشاركة في مقاومة الإنجليز والقتال في منطقة القنال في عام ١٩٥١، وفي عام ١٩٥٣،ثم شاركت في مقاومة العدوان الثلاثي على مصر في عام ١٩٥٦، وتابعت بنفسي ما جرى في حرب عام ١٩٦٧، وحرب عام ١٩٧٣المجيدة .. وقد دفعني كل هذا إلى قراءة تاريخ هؤلاء المعتدين .. وكل ما ينشر عنهم وما يقال فيهم .. وأدركت أن هناك هدفاً واحداً مشتركاً بين كل من اعتدى علينا .. سواء كان أمريكياً أو إنجليزياً أو فرنسياً أو إسرائيلياً صهيونياً..هذا الهدف هو القضاء على العروبة والإسلام .. لأنهم جميعاً يرون في الإسلام خطراً عليهم وعلى سياساتهم الاستغلالية والاستعمارية واقتصادياتهم الربوية ، وانحرافاتهم السلوكية التي يمارسونها باسم الحرية الشخصية.. هذه الحرية المطلقة التي قضت على الأخلاق وشوّهت المجتمعات .. والتي بذر بذورها اليهود الصهاينة في كل مجتمعات العالم ، لإفساد الجميع دون استثناء .. ولتعجيز الحكومات .. بالسيطرة على كل مصادر

الأموال ، من البنوك إلى الشركات ، إلى كل وسائل الإعلام ، الصحافة والتليفزيون والسينما والمسرح .. وحتى المدارس والجامعات التي يملك اليهود الصهاينة معظمها .

وليعلم الجميع أن مدينة نيويورك بالولايات المتحدة الأمريكية هي أكبر مركز لتجمع اليهود في العالم خارج إسرائيل ، وأكبر مستودع لأموالهم وتجاراتهم .. فما صندوق النقد الدولي والبنك الدولي ومجلس الأمن وهيئة الأمم المتحدة إلا مؤسسات يسيطر عليها اليهود الصهاينة ، وعن طريقها يحكمون سيطرتهم على المجتمع الدولي .. وبالتغلغل في شرايين المجتمع الأمريكي السياسي والاقتصادي والاجتماعي والإعلامي ، أصبحت أمريكا تابعاً ذليلاً للسيد اليهودي الصهيوني .. وإذا عرفنا أن أهم الوزارات في أمريكا يرأسها يهود ، كالخارجية والدفاع والمالية ، لأدركنا مدى سيطرة اليهود على القرار الأمريكي .. ناهيك عن عدد المستشارين اليهود في البيت الأبيض والكونجرس الأمريكي.. وما فعله اليهود في أمريكا سبق أن فعلوه في الاتحاد السوفييتي، فهم الذين أنشأوا الشيوعية ، ولنعلم أن " كارل ماركس " مؤسس الشيوعية كان يهودياً .. وهم أيضاً الذين أسقطوا الشيوعية حينما تأكدوا من فشلها .. وهم الذين فجّروا الحروب بين الدول المنشقة على الاتحاد السوفييتي ، وهم الذين فجّروا الخلافات العرقية وأشعلوا الحروب في الشيشان وكوسوفو وغيرها من الدول التي رفعت راية الإسلام .. ولم تكن غارات حلف"الناتو" للدفاع عن المسلمين ، ولكن لإضعاف يوغوسلافيا الشيوعية ، وفي نفس الوقت تشتيت من بقي من شعب كوسوفو ، الذين يسكنون الخيام المصنوعة من القماش الذي لا يحمي من برودة الشتاء الذي يستمر فصله هناك من شهر نوفمبر حتى شهر أبريل.. .. وكأنهم يخططون للقضاء على من بقي بعد الحرب بتأثير قسوة الشتاء وانتشار أمراضه .. وقد حرّضوا روسيا على ضرب الشيشان من جديد والاعتداء على شعبها ، وهم يتفرّجون ولا يتدخلون ، وكأنهم يتمنون القضاء على الشعب المسلم في الشيشان .. وهكذا كل حرب تدور رحاها في أرجاء العالم يكون وراءها اليهود بسياساتهم الخبيثة ودهائهم الماكر ، الذي

يقنعون به المجتمعات المنكوبة بأنهم أنصار السلام ومنقذو الإنسانية ومحبّو الرخاء لكل مجتمعات العالم .. ولا تدري هذه المجتمعات أن اليهود الصهاينة يخدعونهم ويضعون لهم السم في العسل !! ..

وأعود إلى الذين ينادون بالتطبيع مع العدو الصهيوني ويشجعون على توسيع دائرته ، وأقول : إن المنادي بالتطبيع هو أحد رجلين .. الأول ساذج خدعه دهاء الصهاينة، وجرع السم الموضوع في العسل .. وقد طاب له طعم العسل ، ولم يؤثر فيه بعد مفعول السم ..ولا يدري أن هلاكه محتوم.. وأن فناءه مخطط ومرسوم ..!! وهذا الساذج لم يقرأ تاريخ هذا العدو .. ولم يتابع مؤامراته ودسائسه التي ملأت العالم كله بالحروب والشرور .. ولم يسمع عن المذابح التي ارتكبوها عبر مراحل التاريخ ..ولم يخبره أحد عن تعاليم التلمود وبروتوكولات حكماء صهيون ، التي تكشف أسرارهم ومخططاتهم للسيطرة على العالم ،وتبين أخلاقياتهم ومبادئهم الإجرامية التي تتنافى مع القيم التي نادت بها جميع الكتب السماوية .. وأقول لهذا الرجل الساذج .. أفق يا رجل.. واقرأ وابحث ، لتعرف الحقيقة وأنك مخدوع .. قبل أن تنالك سمومهم قبل سيوفهم ..

أما الرجل الثاني ، الذي ينادي بالتطبيع ، ويشجع على توسيعه .. وليس به سذاجة .. فهو عدو بقدر عداوة العدو الصهيوني أو أشد عداوة .. وأكبر خطراً .. لماذا ؟ .. لأن العدو الصهيوني معروف لنا بعدائه ومكره .. وقد نحطاط لما يدبره ضدنا .. أما من ينادي بالتطبيع ، فمن كارثة الكوارث أنه قد يكون مصرياً أو عربياً .. وفي الحالين تكون المصيبة أعظم !!.. وهذا الرجل الثاني، المؤيد للتطبيع أشد خطراً على المجتمع من تجار المخدرات والسموم ومروجيها .. لأن تجار المخدرات والسموم يضرون بعض أفراد الشعب من المدمنين ، وبالوعي والتوعية يمكن مقاومة هذا الضرر ، بالإضافة إلى أن الحملات النشطة لرجال الأمن ومكافحة المخدرات تقلل من انتشارها ، بل وأحياناً يلقون القبض على تجار المخدرات ومروجيها ويعدمون الكميات

المصادرة.. إذن فتجارة المخدرات يمكن مقاومتها ومحاصرتها بواسطة رجال الأمن اليقظين وبالتوعية ..أما الذين ينادون بالتطبيع ويساعدون على توسيع دائرته ، فهم يضرّون بالوطن والمجتمع كله ، خاصة إذا شمل التطبيع مجال الزراعة والإنتاج الزراعي ، كما حدث في الآونة الأخيرة حيث غزت الأرض المصرية البذور الإسرائيلية السامة والمبيدات الإسرائيلية المحرّمة دولياً، والتي أضرّت بالتربة المصرية التي كان الجميع يتغنى بخصوبتها .. وأضرّت هذه المبيدات بالإنتاج الزراعي كما أضرّت بالإنتاج الحيواني ومنتجات الألبان .. كما وصل هذا الضرر إلى صحة الإنسان ، فانتشرت أمراض السرطان والفشل الكلوي والكبد الوبائي ، وغيرها من الأمراض التي تفشّت بعد التوسع فى استعمال البذور الإسرائيلية والمبيدات الإسرائيلية ، وبعد انتشار الخبراء الزراعيين الإسرائيليين في محافظات مصر ، ينشرون سمومهم في التربة المصرية والعقول المصرية على أوسع مدى .. وأصبح من المألوف أن ترى الخبراء الإسرائيليين يجوبون القرى المصرية ، ويقيمون مراكز لهم بحجة الإشراف أو توجيه وتعليم الخبراء المصريين فنون الزراعة وأصولها .. ونسينا أن مصر هي بلد الزراعة والخبرة الزراعية منذ آلاف السنين .. ولم يتخلف إنتاجنا الزراعي إلا بعد أن امتد التطبيع مع العدو الصهيوني إلى مجال الزراعة .. وهاهو القطن المصري الذي كان يتربع على العرش ، وكان يحتل المركز الأول .. قد بدأ يتراجع عن مركزه ليسبقه القطن الإسرائيلي .. ووامصيبتاه !! .. فهذا هو إحدى ثمار التطبيع الغاشم الذي يتم سواء عن جهل أو عن عمد أو سوء قصد .

وإذا قام الشرفاء من الكتّاب والصحفيين بكشف الستار عن حقيقة هذا التطبيع وعن النيات السيئة لمؤيدي هذا التطبيع ، قامت القيامة ووُجّهت الاتهامات للشرفاء بالقذف والسب ، وصدرت ضدهم الأحكام الجائرة بالسجن والغرامات الكبيرة ، كما حدث مع الصحفيين الشرفاء بجريدة الشعب عندما كشفوا أخطار التطبيع وأخطار مؤيديه .. والحكومة والمسئولون نائمون في العسل الإسرائيلي الذي وصلت

سمومه إلى العقول والقلوب والآذان ، فلم تعد العقول تفكر ، ولم تعد القلوب تحس ، ولم تعد الآذان تسمع ..وكأنهم جميعاً في سبات أعمق من سبات أهل الكهف !!..

وأقول لكل هؤلاء .. المنادين بالتطبيع مع العدو الصهيوني .. سواء كانوا من السّذّج الذين لا يعرفون حقيقة العدو الذي يخدعهم ، أو من الذين يعرفون العدو جيداً ويتعاونون معه ضد أوطاننا العربية ..أومن المسئولين في جميع الحكومات العربية والإسلامية الذين يلزمون الصمت المريب إزاء هذه الدعوة المشئومة للتطبيع .. أقول لكل هؤلاء.. إن اليهود الصهاينة قد تأثروا ببعض الافتراءات التي ذكرت في الأجزاء المحرّفة من التوراة .. والتي تبيح القتل والاغتصاب والهدم والتدمير والإحراق بحجة أن ذلك يُرضي الرب .. وأصبح الحاخامات يدعون إلى تطبيق هذه الجرائم في كل البلاد التي يدخلونها .. وترسّخت هذه المفاهيم الإجرامية في أذهان اليهود الصهاينة ، وأصبحت وسيلة وغاية وهدفاً لهم لا يحيدون عنه ، ولا يساومون عليه ، وإن كانوا يحاولون إخفاء ذلك على غير اليهود .. وإذا قرأنا بعض الأجزاء المحرّفة من التوراة لعرفنا أسباب الغدر والكراهية الشديدة التي تجري في عروقهم ودمائهم تجاه غير اليهود ، ولأدركنا حقيقة معتقداتهم وأهدافهم .. ولقد جاء في كتاب " إسرائيل البداية والنهاية " ص ٨٢ (للواء يوسف محمود يوسف) ما يلي :

ظل بنو إسرائيل تائهين في صحراء سينا أربعين سنة حتى فني الجيل العاصي ، وتوفي هارون ودفنه موسى " عليهما السلام " في جبل هور في سينا . وتقدم موسى بالقافلة حتى مشارف " مدين " .. وتقول التوراة في سفر عدد الإصحاح الحادي والثلاثين إن الرب أمر موسى بتجنيد جيش من اثني عشر ألف مقاتل لمحاربة مدين ، فتجندوا على مدين كما أمرهم الرب ، وقتلوا كل ذكر وقتلوا ملوك مدين ، وسبى بنو إسرائيل نساء مدين وأطفالهم ، ونهبوا جميع بهائمهم وجميع مواشيهم وكل أملاكهم ، وأحرقوا جميع مدنهم بمساكنها وجميع حصونهم ، وأخذوا كل الغنيمة وكل النهب وأتوا إلى موسى وإلعازار الكاهن "ابن هارون " بالسبي والنهب والغنيمة .. وتقول

التوراة إن موسى سخط على رؤساء الجيش ، وأمر بقتل الأطفال الذكور والنساء وأبقى على حياة الفتيات الصغيرات فقط .. وتنسب التوراة المحرّفة إلى موسى تصرفاً بالغ القسوة ، إذ تقول إن موسى غضب غضباً شديداً لأنهم لم يقتلوا كل الأطفال ، وأمر بذبح جميع الذكور منهم ، وكانت نقمة موسى على النساء أشد فأمر بقتل كل امرأة كانت متزوجة لتلحق بزوجها .

وهذه القسوة البالغة ليست من أخلاق النبوة .. ولكنها في تصوّر اليهود أمر مقبول ويرضى به الرب .. وما أمر مذبحة" دير ياسين " وغيرها وآخرها مذبحة " المسجد الإبراهيمي " في ٢٥-٢-١٩٥٤بغريب على طبائع اليهود !!.. وقد قال الحاخام اليهودي بعدها : إن قتل غير اليهودي عمل أخلاقي يرضى به الرب .

وموسى عليه السلام لم يكن كما وصفته التوراة المحرّفة قاتلاً وسفّاحاً وغاصباً ، بل كان من أعظم شخصيات التاريخ ، ومن أكرم أنبياء الله ، وقد ذكره القرآن الكريم وأثنى عليه .. ومن ذلك قول القرآن : [ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى .. وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي] "٤٠ -٤١ طه". [قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاَتِي وَبِكَلاَمِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ] " ١٤٤ الأعراف " وكذلك قول القرآن : [وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصاً وَكَانَ رَسُولاً نَبِيّاً] "٥١- مريم".. وإن ذِكْرَ موسى وسيرته في القرآن الكريم من العلامات البارزة لعقائد البشر ، ولدعوة الناس كل الناس إلى الحق والخير .

وبعد مقتلة مدين والمذابح التي تمت في أهلها تقول التوراة في(سفر عدد إصحاح ٢٢) " وكلم الرب موسى في عربات موآب على أردن أريحا قائلاً : إنكم عابرون الأردن إلى أرض كنعان فتطردون كل سكان الأرض من أمامكم وتخربون جميع مرتفعاتهم وتملكون الأرض وتسكنون فيها لأني قد أعطيتكم الأرض لكي تملكوها "... وترسم التوراة المحرّفة حدود إسرائيل فتقول : " كل مكان تدوسه بطون أقدامكم يكون لكم من البرية ولبنان من النهر ، نهر الفرات إلى البحر الغربي يكون تخمكم " (سفر تثنية

١١) .... بينما يقول الله تعالى عن موسى وهارون : [وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ وَنَصَرْنَاهُم فَكَانوا هُمُ الْغَالِبِينَ وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الآخِرِينَ . سَلاَمٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ . إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ. إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ] " ١١٤-١٢٢ الصافات"

وكان موسى عليه السلام قد أوصى قبل موته بأن يكون فتاه " يشوع بن نون " قائداً لبني إسرائيل ، لما كان يرى فيه من إخلاص وذكاء ..وتقول التوراة : " وكان بعد موت موسى عبد الرب أن الرب كلم يشوع بن نون خادم موسى قائلاً : موسى عبدي قد مات . فالآن قم أعبر هذا الأردن أنت وكل هذا الشعب إلى الأرض التي أنا معطيها لهم (أي لبني إسرائيل) . كل موضع تدوسه بطون أقدامكم لكم أعطيته كما كلمت موسى من البرية ولبنان إلى النهر الكبير نهر الفرات جميع أرض الحيثيين وإلى البحر الكبير نحو مغرب الشمس يكون تخمكم لا يقف إنسان في وجهك كل أيام حياتك . كما كنت مع موسى أكون معك " (سفر يشوع الإصحاح الأول).. وعبروا نهر الأردن وحاصروا مدينة أريحا ،واستسلم حرّاسها لسيوف الإسرائيليين .. فذبحوا كل من في المدينة من رجل وامرأة وطفل وشيخ .. حتى البقر والغنم والحمير ، وقطعوا كل الشجر واقتلعوا كل الزرع ، وأحرقوا كل المباني .. ولم ينج من الحرق والتدمير غير الذهب والفضة والنحاس والحديد ، وأودعت في خزينة بيت الرب ، ولم يبق على قيد الحياة غير الزانية " رحاب " التي تجسّست لحسابهم .. وتقول التوراة : " وحلف يشوع في ذلك الوقت قائلاً : "ملعون قدّام الرب الرجل الذي يقوم ويبني هذه المدينة أريحا " (سفر يشوع الإصحاح السادس).

أرأيت أيها القارئ .. أرأيتم أيها المنادون بالتطبيع مع هذا العدو الصهيوني الغادر .. الذي يتظاهر بالدعوة إلى السلام ، وهو يضمر في نفسه الشر لمن يسالمونه ، ومن يسمحون له بدخول أرضهم ..ولعلنا الآن قد تأكدنا وبعد أن قرأنا ما جاء في توراقم المحرّفة أنهم يؤمنون بأن القتل والتدمير والهدم والتخريب ، وقطع الشجر واقتلاع الزرع ومحو كل مظاهر الحياة في كل بلد يدخلونه .. يؤمنون بأن ذلك يرضي به الرب ويأمرهم به .. وسبحان الله عما يصفون .. فالله تعالى لا يأمر بالقتل والتخريب .. وإنما يدعو إلى السلام والتعمير .. ومن أسمائه الحسنى " السلام" ويقول الله تعالى : [وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ التي حَرَّمَ اللهُ إلاّ بالْحَق] " ٥١ – الأنعام " .كما يقول تعالى: [مَنْ قَتَلَ نَفْساً بغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ في الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَميعاً] " ٣٢– المائدة " .

ولكن اليهود الصهاينة ينسبون إلى الله ما لم يأمر به أو يرض عنه .. كما ينسبون إلى الأنبياء ما لم يفعلوه وما لم يكن فيهم .. وهذه وسائلهم لإقناع أبنائهم وأحفادهم وأجيالهم بالتمسّك بهذه المعتقدات الزائفة التي تجعلهم قتلة وسفاحين وغاصبين .. فكيف بعد ذلك يقول قائل : إن التطبيع معهم فيه خير ؟؟!!.. بل إن فيه كل الشر والخراب والدمار .. وأرجو ألا ننسى ما فعلوه عندما قتلوا ستة آلاف من الأسرى المصريين بعد أن أجبروهم على حفر قبورهم بأيديهم في سيناء..وغير ذلك من المذابح العديدة التي فاقت وحشيتهم فيها وحشية الوحوش الحيوانية .. وأذكّركم جميعاً بأنه أثناء العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ وعندما وصلت القوات اليهودية إلى حدود سيناء ، كان في طليعة القوات الزاحفة سيارة عسكرية تحمل كتاباً ضخماً هو " التوراة " ومن خلفه وقف حاخام يخطب في الجنود ويقول : " يا أبناء إسرائيل ، إنكم تدخلون الآن الأرض المقدسة حيث تسلم موسى الشريعة ، فهيا لتطهيرها من الأعداء ".. كما أذكّركم أيضاً بالشعار اليهودي في أمريكا : (ادفع دولاراً تقتل عربياً) !!..

وأعتقد بعد كل ما ذكرناه في هذا المقال وما أوضحناه من حقائق وما سردناه من أحداث التاريخ أن كل المنادين بالتطبيع مع هذا العدو الغادر سوف يعيدون النظر فيما ينادون به ، وأنهم سيسارعون بتصحيح أفكارهم .. أما من يصرّ على المناداة بالتطبيع بعد كل ما ذكرناه فهو بالقطع خائن لبلده وعميل لهذا العدو ، وقد يكون في حقيقته يهودياً صهيونياً يختفي وراء إشهاره الإسلام أو اعتناقه المسيحية من باب النفاق المشروع عندهم في تعاليم التلمود .

وعلى كل الشرفاء من أبناء مصر والعالم العربي والإسلامي أن يتصدوا لمثل هذا الخائن والعميل ، ويعملوا على استئصاله قبل أن يستفحل خطره ويفوت الأوان .. وعلى جميع المسئولين في مصر والعالم العربي والإسلامي أن يتقوا الله في شعوبهم وأوطانهم .. وألا يمكّنوا العدو من اختراق صفوفهم وتدمير زراعاتهم وتخريب عقول شبابهم باسم الآفة الجديدة والسلاح الحديث الذي يسمّونه " التطبيع " ، وما هو في الحقيقة إلا "التضييع"!!..

اللهم فاشهد .. إني قد بلّغت .

يا مسلمون .. أَخْرِجُوا رءوسكم من الرمال !!..

ماذا أقول .. والرءوس العربية والإسلامية مازالت مدفونة في الرمال ؟!.. وكأنها استعذبت ذلك ، أو كأنها تقول : نحن لا نرى دماء تُسفَك .. ولا صرخات تُطلَق .. إن ضمائرنا في إجازة مفتوحة ، وإرادتنا لا تزال مكبوحة ..

ماذا جرى لكم يا عرب ؟!.. وماذا أخرسكم يا مسلمون ؟!.. أإلى هذا الحد شغلتكم دنياكم .. وأنستكم أخراكم ؟!.. ألم تحسّوا الكسوفَ مما حدث في كوسوفا؟!.. كيف يهنأ لكم بال ، والمسلمون في أسوأ حال ؟!.. كيف تلتهمون الطعام ، والمسلمون يجترّون الجوع والآلام؟!.. كيف أخطأت أموالكم الطريق .. وعدوكم حر طليق ؟!.. تلقون بالأموال على رءوس المطربين والراقصات .. وتبخلون بها على من يُذبحون وتُطلق على ظهورهم الرصاصات!!.. أولئك المستضعفون في كوسوفو والشيشان .. وفي الهند وكشمير وكل مكان ، الذين تكالب عليهم أهل الشر من الشرق والغرب ، يذبحونهم ويطردونهم من ديارهم ويشرّدونهم في بقاع الأرض .. وأنتم لهذه المهازل تشاهدون .. وكأنكم على مسرحية كوميدية تتفرجون .. هل ماتت لديكم النخوة ، أم تبلّد الإحساس ؟!.. هل صدّقتم أخبار ضربات " النّاتو " وأعجبتكم تصريحاته ؟!.. وهل انطلت عليكم تفسيراته؟!.. هل نسيتم المثل الإنجليزي القائل : " اضرب رأس الثعبان بيد عدوك " ؟!.. إنهم يطبّقون هذا المثل في أفعالهم .. كما فعلوا في أحداث " كوسوفو والشيشان " فقد ضربوا المسلمين بيد الصّرب الذين كانوا يوماً ألد أعدائهم أيام الاتحاد السوفييتي الذي أصبح في خبر كان .. كما أن الضربات " الحنونة " التي وجهوها ضد الصرب مكّنت الصرب من زيادة اضطهادهم لمسلمي كوسوفو ، واستمرار ذبح المئات منهم ودفنهم في المقابر الجماعية،

وطرد وتشريد البقية الباقية منهم ، حتى لا يبقى في كوسوفو مسلم واحد يقول : لا إله إلا الله محمد رسول الله ..

يامسلمون .. ألا تلمس وجوهَكم حمرةُ الخجل عندما تسمعون وتشاهدون في إذاعات وتليفزيونات العالم اعتداء الملحدين الروس على جمهورية الشيشان المسلمة؟!..ألا تشعرون بالخزي والعار عندما تعلمون أن الرئيس الشيشاني المسلم قد طلب من " بابا الفاتيكان " المساعدة في إيقاف العدوان الروسي الوحشي على جمهورية الشيشان الإسلامية ؟؟!!.. ولقد لجأ الرئيس الشيشاني المسلم إلى بابا الفاتيكان .. ولم يلجأ إلى " شيخ الأزهر" ، ولم يطلب المساعدة أو النجدة من منظمة الدول الإسلامية ولا من جامعة الدول العربية.. ولم يناشد ملكاً أو رئيساً أو أميراً مسلماً .. لقناعته بأن المسلمين بقياداقم جميعاً قد دفنوا رءوسهم في الرمال .. ودفنوا معها النخوة والشهامة والمروءة ..



لاجئة شيشانية تمسح دموعها أثناء توقفها عند إحدى نقاط التفتيش في انجوشيا وهي في طريق عودتها إلى الشيشان

يا من كنتم مسلمين .. ومازلتم تحملون أسماء المسلمين .. هل ضعفت إرادتكم حتى لا تقوى على مقاومة العدوان على الشعب الشيشاني المسلم . حتى ولو بالشق الأخير من الحديث الشريف عن تغيير المنكر " فبقلبه وذلك أضعف الإيمان " وذلك بأن تهبّوا جميعاً ، وتقرروا قطع جميع العلاقات فوراً مع الروس المعتدين ؟!.. ماذا تنتظرون؟!.. هل تظل رءوسكم مدفونة في الرمال حتى تسقط الشيشان المسلمة فى يد الدب الروسي الملحد حتى يستمر في معاداته للإسلام ، وترسيخ مبادئ الإلحاد ؟!.. ليس لنا اليوم من نستغيث به إلا الله .. أغثنا يا الله .. أغثنا يا رسول الله .. فقد صدقت في حديثك الشريف : (توشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها . قالوا

: أو من قلة نحن يومئذ يا رسول الله ؟ قال : لا بل أنتم يومئذ كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل) وقد تحقق قولك يا رسول الله .. وهاهي الأمم تتداعى على المسلمين بالعدوان .. والمسلمون على كثرتهم وغناهم متخاذلون .. فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم !! والمعتدون يعتقدون أنهم بهذا الإجرام الذي لم يسبق له مثيل على مدى التاريخ إلا أيام التتار، يظنون أنهم يقتلعون الإسلام من الجذور .. ولكن هيهات أن يتحقق ظنهم .. فإن الله سبحانه وتعالى علام الغيوب ، كان في علمه ما يدور الآن ضد الإسلام والمسلمين كما كان في علمه أن المسلمين سيتخاذلون أمام هذا الزحف الصليبي اليهودي الشيوعي، وأن العرب والمسلمين سيقفون هذا الموقف المتخاذل والمستكين .. لهذا تكفّل سبحانه وتعالى بحفظ دينه ، فقال تعالى : (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)." ٩ الحجر "

يا مسلمون .. لقد اجتمع أعداء الإسلام اليوم على هدف واحد .. هو القضاء على الإسلام .. وقد أعلنها أقطاب الغرب مرة بعد مرة ، وقالوها علانية ودون مواربة " لقد انتهينا من عدونا اللدود المتمثل في الشيوعية ، ولم يبق أمامنا إلا عدو واحد ، هو الإسلام " .

ولكن فليعلم أعداء الإسلام الحاقدون .. وليعلم أيضاً أبناء الإسلام القاعدون .. أن الله تعالى سينصر دينه ولو كره المشركون.. وأنه سينصر القلة القليلة من المؤمنين الذين مازالوا يقاومون العدوان في فلسطين ، وفي جنوب لبنان ، وفي الهند وكشمير والشيشان وغيرها من بلاد المسلمين ، تحقيقاً لقوله تعالى : [وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ] " ٤٧الروم " . ولعل المتخاذلين والقاعدين عن الجهاد المقدّس تستيقظ ضمائرهم يوماً فيُخرجوا رءوسهم من الرمال ليروا الحقيقة التي تحيط بهم ، والكوارث التي تتوالى على بلاد المسلمين فيشاركوا في الجهاد .. وسيرون جنوداً من جنود الله من غير البشر يدمّرون بلاد الأعداء ويشلّون قوتهم .. هؤلاء الجنود لا قِبَلَ للأعداء بهم .. ولا تردّهم صواريخهم ولا جنودهم ولا تصدّهم دباباتهم ولا أساطيلهم .. إنهم

جنود الله من الطبيعة كالأعاصير والسيول والزلازل والعواصف التي لا تقاومها الطائرات ولا الدبابات ولا القنابل الذرية ولا النووية هذه الحرب التي سيديرها رب الإسلام على أعداء الإسلام .. والتي ظهرت بوادرها في الأيام الأخيرة في بلاد الأعداء.. فما العواصف والزلازل والسيول والكوارث المتتابعة في أمريكا إلا بداية لحرب إلهية على من أعلنوا الحرب على الإسلام .

فإذا ماتت ضمائر العرب والمسلمين .. فسينقضّ عليهم أعداؤهم قريباً ليضربوا أجسادهم ويفصلوها عن رءوسهم التي ستظل إلى ما شاء الله .. مدفونة في الرمال !!..

الفهرس

الموضوع	الصفحة

ترقبوا الجزء الثاني من :

صرخات مكتومة !! ..

الكاتب في سطور :

* من مواليد القاهرة عام ١٩٣٦ .

* حصل على دبلوم المعلمين الخاص في عام ١٩٥٨ ، والدراسات التدريبية التكميلية بكلية المعلمين عام ١٩٦٤ .

* تخرّج في معهد الإعداد والتوجيه بجامعة الأزهر عام ١٩٦٥.

* درس البرنامج التدريبي لمعلمي اللغة الإنجليزية بالجامعة الأمريكية عام ١٩٧٤.

* شارك في العمل الفدائي ضد الإنجليز في منطقة القنال في عام ١٩٥١ ، ولم يكن قد تجاوز الخامسة عشرة من عمره ، وشارك في نفس العمل الفدائي في عام ١٩٥٣ ، كما شارك في مقاومة العدوان الثلاثي على مصر في عام ١٩٥٦ .

* عمل مدرّسًا للغة الإنجليزية منذ عام ١٩٥٨

* تدرّج في وظائف التربية والتعليم حتى أصبح مديرًا لإدارة التعليم الخاص في إدارة عابدين التعليمية بالقاهرة .

* شارك في العمل النقابي منذ عام ١٩٦٤ .

* أصبح نقيبًا للمعلمين في إدارة عابدين التعليمية في دورة عام ١٩٩٣ ، وفي دورة عام ١٩٩٧ .

* كان أول من حصل على لقب " المعلم المثالي " في مصر في عام ١٩٦٥ ، في محافظة الدقهلية .

* حصل على لقب " المعلم المثالي " على مستوى الجمهورية في عام ١٩٧٤ .

* نال تكريم وزارة التربية والتعليم باعتباره من الروّاد الأوائل للتعليم في أعوام ١٩٩٦ و ١٩٩٧ و ١٩٩٨.و ١٩٩٩ .

* نال تكريم نقابة المهن التعليمية باعتباره من روّاد العمل النقابي في أعوام ١٩٩٦ و ١٩٩٧ و ١٩٩٨ و ١٩٩٩ .

* مارس فن التمثيل والإخراج المسرحي لعدّة سنوات .

* حصـــل على جائزة التفوق الممتازة في التمثيل الصامت من جامعة عين شمس في عام ١٩٥٨ .

* قـــدّم عـــدّة عروض مسرحية من تأليفه وإخراجه بمدينة " مرات " بالمملكة العربية السعودية بين عامي ١٩٧٥ و ١٩٨٠ .

* كتب العديد من القصص والمسرحيات والأغاني والأزجال.

* كـــتب عـــدّة مقـــالات في بعض المجلات المصرية ، وفي جريدة " صوت السلام " وجريدة " بلادي " في ولاية نيو جيرسي بالولايات المتحدة الأمريكية .

* مـــن مؤلفاتـــه : كتاب " نهاية إسرائيل في القرآن الكريم — بين النبوءة والأرقام " ، وكتاب " دمار أمريكا .. قادم قادم — في الكتب السماوية ".

كتب تحت الطبع للمؤلف :

صرخات مكتومة .....جزء ثان .

المتفوّقون في مدرسة محمد بن عبد الله .

للشّرفاء فقط ...." مجموعة قصصية " .

" الطبعة الأولى "

رقم الإيداع ٥٩٩٥ / ٢٠٠٠

الترقيم الدولي I. S. B. N.

977 - 225 - 145 - 0